صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE

الثقافة

مجلة ثقافية أدبية شهرية

دمشق – ص ب ٢٥٧٠ هاتف ١٦٢٩١

أيار (مايو) ١٩٦١

العدد الثاني عشر

السنة الثالثة



بقلم

الدكتور أحمد كمال زكي

يظهر دائما في عمليات الاستقراء لرصيدنا الثقافي المعاصر أن الاخذ بنظرية الفن للفن أصبح شيئا تقرره السلبية المطلقة .. طالما كان الفنان يجد نفسه غير متوافق مع بيئته الاجتماعية ، ولقد كان عجيبا حقا أن يتحول الرومانسيون المعاصرون واتباع المدرسة التقليدية في الشعر بالذات – وحديثنا حديث عن الشعر في الاقليم الجنوبي – الى دعاة لان يكون الفن وسيلة ، حتى لقد ظهر – في تطرفهم – ما طبع انتاجنا الاخير بطابع الشعارات المبتذلة .

واذا كان علينا بادىء ذي بدء أن نحرص على قيام وحدة حقيقية بين « المعيار الاجتماعي » و « المعيار الفني » فلاننا نحبذ ارتباط البواعث بأشكالها ، على ألا نكون من الجدليين الذين يكادون يحسبون حساب التطبيق الواقعي في المجتمع فقط ، ولا من المدرسيين الذين يركزون على الشكل وعناصره .

وعندما نختبر المحصل الاجتماعي لشاعر ما نصدر عن ثقة بأن سموه أو ابتذاله مرتبط بقيم فنية ترتفع أو تهبط بانتاجه المنقود ! ولهذا رفضنا باصرار كثيرا جدا مما هدر به شعراء السنوات العشر الاخيرة من حياتنا ، وأكثر ما حملنا عليه ذلك الانتاج الذي اكتفى بنعي أوضاعنا الاجتماعية المتوارثة .. في عدم فهم لايدلوجية طارئة لم يخلصوا لها الاخلاص العميق !

لقد وقف المحدثون وعلى رأسهم الشرقاوي وكمال عبد الحليم يندون بالمجتمع البرجوازي تنديدا بالغا ، وطفقوا يكيلون له السباب لانه لا ينتصر لابنائه في قضيتي العدالة والسلام . كما جهروا بالعداء للشعراء الكبار الذين اكتفوا بالهروب الى ما وراء الارض ، وكانوا يعتقدون أن شعراء الصف الثاني – الناشئة – هم الافضل لانهم يتفتحون على « فكرية » واقعية لاصقة بالارض .

وكان لا بد أن يخطو الشعراء الشيوخ خطوتهم نحو العناية بمشكلات المجتمع ، ولا سيما حين قامت ثورة ١٩٥٢ ، ولمحنا في صراعهم مع الشباب زهدا متعمدا في الاخذ بمذهب الفن للفن .. فكان عملهم أشبه بيقظة الغافي وهو لم يزل في حضن النعاس ، ثم لما رأوا فيمن انضم لهؤلاء الشباب قصورا ناجما عن ضعفهم الفني شددوا النكير عليهم ، فأصبح التوفيق بينهم أكثر من محال !

وهنا ظهرت المشكلة على حقيقتها : شعراء تمرسوا على بناء الاطار الفني وفاتهم الغرض الاجتماعي ، وشعراء آخرون أهملوا بناء الاطار الفني في سبيل الدعوة الى التطبيق العملي لشعارات الايديولوجية الوافدة .

كان صلاح عبد الصبور وعبد المعطي حجازي ونجيب سرور مع كمال عبد الحليم والشرقاوي يدركون أن عداوتهم للقديم جزء لا يتجزأ من قضيتهم ، ومن ثم أمعنوا في التحلل من القيود المدرسية وتحرروا من القافية ومن الوحدات العروضية التقليدية ، وكان هذا «التسهيل» يدفع اليهم البادئين الناشئة بعد أن ظنوا – خطأ – أن الايديولوجية الهادفة لا تأبه بالمعايير الفنية المتوارثة .

أما مع الشيوخ فالامر كان شديد الاختلاف ، اذ أنهم لم يكونوا ليسمحوا بأي تحلل من النظام الموروث للقصيدة ، كما لم يكونوا ليقبلوا أي شاب لم يكن مؤمنا بكل قيمهم التقليدية ٠٠ لم يكن محمود غنيم مثلا يصبر على المجددين حتى يخرجوه من الدائرة التي اعتاد أن يدور فيها قبل ربع قرن ، برغم أنه استوحى الثورة وأيد حركات التقدم الاجتماعي ٠ ولم يكن عامر بحيري يؤمن ايمانا راسخا بأن النصر لمثله اذا اتجه اتجاها نفعيا في الفن ، ولكنه مع ذلك أثار مشكلات العروبة والاصلاح في بعض شعره ٠ واكتفى صالح جودت بالسخرية المريرة من القرامزة ودعواه على ما يسمى المجددين والتجديد ٠ وأما العقاد فرفض مجرد المناقشة في « شرعية » هذا الشعر الجديد ٠٠

على أن المهم في ذلك كله هو أنه بنشوب ثورة عام ١٩٥٢ خرج معظم الشعراء على نظرية الفن للفن ٠٠ حتى محمود حسن اسماعيل الذي وصف بأنه الشاعر الوحيد الذي يؤمن بقدسية برجه العاجي ، اتخذ من غنائياته السلبية بعاهل الريف مبررا لينتصر شعريا بالسلام الذي يحرص على المناداة به أصحاب الايديولوجية الوافدة ٠

وهكذا تتكشف أسرار البلبلة الفنية التي نمر بها اليوم ، ويضاعف من وطأة هذه البلبلة أن أكثر نقدنا للاعمال الشعرية يتجه اتجاهين ٠٠ أحدهما اجتماعي له مستواه الفكري ، والآخر فني لم يتسلح له النقاد بالبلاغة القديمة وبنظريات الجمال التي أرسيت قواعدها مؤخرا ٠ ونحسب أنه لا يفيد أي ناقد أن يضع في اعتباره أن الاهتمام بالصياغة أمر ينبغي ألا يهمل في أثناء تقييم الفكرة المجتمعية ٠

وقد يسهل على أي ناقد الآن أن يتهم كل المحدثين من الشباب — على ذلك الاساس — الا أنه ينبغي أن يلاحظ أولا أن كثيرين منهم تساقطوا كأوراق الخريف منذ بعض الزمن ٠٠ وهؤلاء هم الذين لم يتسلحوا التسلح الفني المناسب ، وأما الباقون فقد ثبتوا بالرغم من أن الشيوخ بما يملكون من وسائل الاعلام لا يسمحون لهم بالكثير !

وفي رأينا أن وجهة النظر النفعية في الشعر قد اقتضت أن يسلم الجميع بوجود حيوية فعالة في أي وضع مجتمعي واعد ومعنى ذلك أن محصلات المعركة الفنية ينبغي أن تتبلور ازاء ذلك الوضع عن أهداف معينة يحددها شعراء لهم موقفهم أو فلسفتهم ان توسعنا في مفهوم الفلسفة ، ونحسب لو أنهم تخلوا عن أي مضمون فكري واضح لفقدت أعمالهم التي تأخذ الشكل المتحرر للقصيدة كثيرا من السحر والدفء ٠ ولتوضيح ذلك نقول : ان المدرسيين يستطيعون أن يستهووننا بروي القوافي وتناسق التفعيلات ، في حين يضطر المجددون الى تعويض ذلك بالفكرة الشاعرة التي لا يبلورها الا الشاعر الذي اكتملت ثقافته ، ذلك أن المسألة ليست مسألة جودة فنية وانما هي مسألة اقتناع بالموقف الشعري ٠

ونستطيع في مجال الاستشهاد أن نقدم ناجي أو علي محمود طه فنرضى من أيهما حتى بالنغم ٠٠ حتى بالتهويم ٠٠ حتى بالايحاء المبهم ، ولكننا لا نستطيع أن نقدم أحد الشباب بهذه الكيفية ، فان الاتجاه الاجتماعي الذي سيطر على الشعر يتطلب — بحكم الضرورة — ابتكار أساليب جديدة لا يعرفها الشعر القديم ٠

وعلى كل حال لم يكن القصور الفني هو ما حمل الشرقاوي أو صلاح عبد الصبور على أن يركز طاقاته في المضمون ، ولكن لان كلا منهما يرى أن جمال القصيدة ليس في تناسق موسيقاها بقدر ما هو في « تشعير » فكرتها ، وعلى هذا النحو كان غيرهما من الواعدين ٠٠ حتى صارت الاعمال التي يعنون فيها بالصياغة ورشاقة الموسيقى متجاهلين مضمونها ، تعبر عن أفكارهم التي تمثلوها بعد عمليات طويلة من الدراسة والتثقيف ، ومن هنا طالبت بأن يكون للشاعر فلسفة ٠

ولكن بالرغم من عدم اكتراث الشيوخ الرواد بالمضمون الاجتماعي فانه ينبغي أن نسجل أن بعضهم سبق الشباب في التعرض له ٠٠ الا أنه كان تعرض من لم يقتنع ٠٠ فظل هؤلاء على الهامش ، وظلوا على عادة اتباع التقريرية في تسجيله ، ولهذا بدا أكثر ما عرضوا له فاترا ٠٠

ويمكن أن نقول بعد ذلك ان قيمة أعمال الشباب هي في احساسهم الموقفي الذي يعبر عنه العمل الفني ، وكلما كان هذا الاحساس عميقا تيسر ارتباط الناس به والفهم له ٠

ومن الناحية التطبيقية نقول ان شعر الثورة الذي صدر عن الشباب لم يحدد للناس فقط فساد البرجوازية الرأسمالية والاقطاعية الطاغية ، وانما فضح أنانية الطغاة في صور واضحة مؤثرة كان لها تأثيرها العميق ، ومن ثم استجمعت حولها القلوب ٠٠ وهذا ما لم يصل اليه أحد من المدرسيين !

والخلاصة أن المثل الاعلى للقصيدة الآن ليس في يد الشيوخ الذين آثروا حقلنا الفني بروائعهم يوما ما ، وانما هو في يد الشباب الذين نجحوا في مواجهة هؤلاء الشيوخ وصدروا عن فلسفة اجتماعية يضعون لها الاطار الفني المناسب ، ومن أجل هذا سيبقى قصيدهم عامرا بالمضمون المحدد متصلا بكل ظروفنا البيولوجية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية ، ولا نستبعد بعد أن يظهر من بين هؤلاء الشباب من يستطيع أن يرسم « يوطوبيا » عربية ربما لا تقل تفاؤلا وسماحة عن يوطوبيا وولت ويتمان الامريكية ٠

الدكتور أحمد كمال زكي

مفهوم الوطنية

في فلسفة فيشته

بقلم
الدكتور بديع الكسم

فيشته فيلسوف ألماني ولد عام ١٧٦٢ وعاش فقيرا ثم عين أستاذا للفلسفة في جامعة ايينا ٠ ولكنه أقيل منها بسبب دفاعه عن حرية التفكير فيها ، وساعد على هذه الاقالة الشاعر الالماني غوته الذي كان وزيرا في ذلك الوقت ٠ ثم عين فيشته استاذا للفلسفة في أكاديمية برلين بعد استيلاء الفرنسيين على بروسيا فالقى فيها بين كانون الثاني عام ١٨٠٧ وأذار عام ١٨٠٨ خطبة الى الامة الالمانية التي أثارت الشعور القومي في مواطنيه ٠ وكان فيشته الى جانب ذلك عضوا نشيطا في حركة المقاومة التي ثارت على نابليون ونجحت أخيرا في الانتصار عليه ٠

لا بد أن نقدم لنظرة فيشته في الوطنية بكلمة عن نزعته الفلسفية ٠ كان فيشته يعلم الحكمة العميقة : قل لي من أنت أقل لك ما هي الفلسفة التي ستختارها ٠ ففي عصر الاعتقاد بالحقيقة الواحدة الشاملة كان فيشته يؤكد أن للحقيقة جذورا في أعماق كل فرد من الناس ٠ وعندما جابه التناقض الفلسفي بين الحرية والجبرية تجاوزه بقوله : ان الاحرار يؤمنون بأن الانسان حر في طبيعته وان من لا يؤمنون بحرية الانسان ليسوا أحرارا٠ ومن هنا ذهب الى التوفيق بين الانسان والطبيعة ، فاستخلص الوجود مما يجب أن يوجد وقرر بأن الوعي الفردي يضيف الى العلاقات الضرورية في الطبيعة خلق الارادة الحرة ٠ لقد كان يقول : لا أريد أن أقتصر على التفكير وانما أريد أن أعمل وأن أعمل ٠ وقد تحدث عنه أحد معاصريه فقال ان الاستماع الى محاضراته يجعلنا نحس بأن الفيلسوف يمشي ويحفر وينبش ليجد الحقيقة٠ وهو يحملها بعد ذلك من الاعماق ويلقي بها فجأة كأنها كتلة صلبة ٠ أما الحدس الاساسي في فلسفة فيشته فهو أولوية الوجدان الخلقي وأولوية القانون الذي ينشر المحبة ٠

على ضوء هذه النظرة نريد ايضاح موقفه الوطني ٠ فنقطة البدء لديه أن كل من لا يطلب من الحياة الا السعادة والهدوء وارضاء رغباته الحسية لا يمكن أن يفهم معاني الشرف والحرية والاستقلال ٠ وهذا ما يفسر لنا جرأته في القائه خطبه في برلين أثناء احتلال الجيوش الفرنسية لها٠ فقد كتب يقول : ان الخطر الذي اتعرض له لا يمكن أن أحسب حسابه ٠ فلن تحرم أسرتي ، ولن يحرم ابني من عون الامة ٠ بل ان من حظ ابني أن يصبح أبوه شهيدا ٠

* * * *

يمكن أن نقسم خطب فيشته الى الامة الالمانية الى أربعة أقسام : القسم الاول حرب على فلسفة التنوير الذي سادت في القرن الثامن عشر فآمنت بالعقل وحده ونزعت عن الانسان معنى الحياة العميقة وجعلت منه آلة لا روح فيها ٠ وفي هذا القسم دفاع عن قوى الايمان وحرية الفرد الفكرية وقيمة النزعة الديموقراطية ٠ والقسم الثاني يتصل بنقد اللغة والحضارة الفرنسيتين٠ ففي رأي فيشته ان اللغة الفرنسية لغة مشتقة من اللاتينية فاقدة للاصالة على خلاف اللغة الالمانية ٠ وهو يقرر أن الشعب الذي يتكلم لغة مشتقة لا ينظر الى الثقافة الا على أنها تسلية ٠ وان وجد لديه فكر فهو فكر يخلو من الجد والعمق ٠ كل ذلك لا يمنع فيشته من الاعتراف بأن الثورة الفرنسية كانت قفزة حضارية كبرى ، ولدت أملا كبيرا عند سائر الشعوب ٠ ولكن الفرنسيين ما لبثوا ان تنكروا لمبادىء هذه الثورة وشوهوها فزحفوا وراء نابليون في حروبه المعتدية ٠ ويرجع ذلك الى أنهم بطبيعتهم عاجزون عن حمل فكرة الحرية والمساواة حتى النهاية ٠ ونابليون هو المسؤول الاكبر عن هذه الخيانة ٠ لقد وصفه فيشته بقوله : انه بما يملك من عناصر العظمة الانسانية والوعي الهادىء والارادة الثابتة ، كان يمكنه أن يحرر الانسانية ويحسن اليها لو مست روحه قضية المصير الاخلاقي للجنس البشري ٠ ولكن من المؤسف أن لم تشتعل فيه هذه الشرارة الصغيرة ٠ وعلى الرغم من كل ذلك ظل فيشته يقدس مبادىء الثورة الفرنسية التي حشدت طاقة الشعب في سبيل اعادة التوازن للحياة

الاجتماعية والسياسية ، وظل يؤمن بأن بقية الدول لا بد لها أن تستلهم هذه المبادىء وتستقي من منبعها ٠

والقسم الثالث تمجيد لالمانيا وتبيان لما تتصف به من عمق وأصالة ٠ وهنا يؤكد فيشته على نقاء اللغة الالمانية وقدرتها على حمل المعاني والفضائل الانسانية ٠ فالطابع القومي للشعب الالماني لم يتكون خلال التاريخ وانما هو طابع ثابت دائم ٠ فالالمان يتميزون في رأي فيشته ، بأنهم مخلصون للعلم ، مجردون عن التعسف الاجتماعي ، جادون في تناول الامور تناولا جذريا ٠ ففي ألمانيا ، أبت الفلسفة ، وهي أسمى تعبير عن ثقافة الروح ، أن تهبط الى مستوى الحياة النفعية ٠ لقد كان هدفها دائما تحرير العقل والاعتراف بحقه في الاستقلال ٠ ذلك ان حرية العقل هي التي تسمح باكتشاف الحقيقة النظرية والاخلاقية ٠ ويرى فيشته أن « ليبنتر » قد اتجه نحو هذه الحقيقة ، وأن « كانت » توصل اليها وانه هو نفسه قد تعمقها في كتابه عن « مذهب العلم » ٠

كل ذلك يجب ألا نسينا أن ألمانيا في ذهن فيشته ليست واقعا عرقيا ولكنها واقع روحي ٠ بل هو يرى أن الناس فريقان ٠ الاول يؤمن أنه خاضع للحتمية والضرورة وأنه حلقة في سلسلة ، وأن مصيره هو الموت والعدم ٠ هذا الفريق من الناس ليس ألمانيا ٠ والفريق الثاني يؤمن بأن الانسان حر في طبيعته ، وأنه قابل للتقدم المستمر ، هذا الفريق الاخير هو الالماني في تعبير فيشته ٠ لذلك لم يتردد صاحب الخطب الى الامة الالمانية في أن يصرح بأن العدو يتمثل في الحكام الالمان الذين ناصروا المعتدين كما يتمثل في نابليون نفسه ٠ بل ان نابليون ليس عدوا لالمانيا لانه اعتدى عليها فحسب ولكنه قبل كل شيء عدو للفضائل الحقة وخائن للثورة الفرنسية ٠ لذلك كان لا بد لالمانيا أن تحل محل فرنسا الثوروية بعد أن قضت عليها أطماع نابليون ٠ فلا عجب اذن أن يقول فيشته بأن الانسانية كلها أسرة واحدة ، لا تطرح قضية الحدود بين أجزائها الا لمقاومة اعتداء تعسفي يكفر بالمثل الروحية ٠

والقسم الرابع والاخير يتصل بتكوين ألمانيا تكوينا صحيحا ومن ثم خلق الانسان الجديد عن طريق التربية فهو يرى أنه لا بد من اعطاء الامة الشعور بأصالتها وبقدرتها على الدفاع عن الحقائق الانسانية ٠ فالمدافعون عن ألمانيا لا يمكنهم أن يدافعوا عنها الا باسم هذه الحقائق الانسانية ٠ وذلك لان الانسان لا يتحمس للدفاع عما يملك بقدر ما يتحمس للدفاع عن معنى وجوده ٠ والانسان الجديد الذي يطمح فيشته الى تكوينه ، بعد أن سادت الانانية والمنفعة ليس شيئا آخر غير الانسان الازلي الذي يجسد الانسانية كلها ويكون في وقت واحد خادما للفكرة ومعبرا عنها ٠ وعلى أساس هذا الفهم العالمي للثقافة يبين فيشته أن الوطنية الصادقة ليست مجرد محبة الارض ، فهو يسفه من يرى في الجبال والانهار والسهول وجه الوطن ٠ والوطنية أيضا ليست دفاعا عن عرق لان فيشته لا يؤمن بالعروق ، ولكنها النزعة لتحقيق ملكوت العقل والروح في الامة ٠ فاذا كانت النزعة العالمية أو الانسانية تعني سعيا في سبيل أن تحقق البشرية الهدف الاسمى من وجودها فالوطنية هي التي تدفع الفرد ، بحكم كونه عضوا في منظمة اجتماعية يعيش ضمن اطارها قبل كل شيء الى أن يعمل لكي يتحقق هذا الهدف نفسه في أمته ٠ تلك نظرة بعض الجوانب الهامة في نظرة فيشته الى الوطنية ، التي نعتقد أن الفكر العربي المعاصر يستطيع في نهضته القومية الراهنة أن يتجاوب تجاوبا مثمرا مع ما تستند اليه من أصول خيرة ٠

عندما يزول البؤس

قصة بقلم **محمد الخطيب**

ألقى بكيس الطحين أرضا وعيناه تغصان بجليد دمع أبى أن ينكسر بفعل عرق جبهته المتصبب ، وأنفاسه تتسرب من بين ضلوعه كما تتسرب الرياح الهوجاء من بين شقوق الخيمة .. كانت حركاته المضطربة ، وهو يقذف بالكيس ، توحي للناظر اليه بأن يدا تضغط على عنقه بعنف جعلته كالعليل وهو يعاني من سكرة الموت . وتهالك على نفسه واتخذ من الكيس متكأ كأنه يحاول الحصول على الراحة بعد أن تخلص من حمل الثلاثين (كيلو غرام) طحين ، التي كانت تنقض ظهره — والسلة الملأى ببقية المواد الغذائية — التي تسلمها لتوه من مركز اعاشة اللاجئين .

هنا في ركن آخر من الخيمة ، جلست خديجة قبالته — على قطعة من حجر — تنظر اليه بمرارة ويداها تعبثان ببقايا رداء تسدلانه على جسم طفل اصطكت أسنانه خلف شفتيه الزرقاوين المرتجفتين .. الخيمة تكاد تكون خالية من كل شيء الا من ثلاثتهم وبعض الخرق والادوات التالفة التي تعبر عن كيانهم .. والحيز فيما حولهم شغلته تيارات متلاطمة من أمواج الرياح المتصارعة خلف جدارهم الهزيل وهناك في كل اتجاه تنتصب عشرات المئات من الخيام البالية تصفقها عصا الريح ، فتنخفض وترتفع ، وتصيح وتميد كأنها تنفض عن وجهها الباهت غبار بؤسها وأتربة مذلتها !!

وهناك في سفح الافق امتدت أكداس من الفيلات الضخمة بشكل فوضوي ، تحيط بها هالة من الازاهير والخضرة ، وتنبعث منها روائح المترفين — ومن خلالها تبسق أشجار جميلة هيفاء غازلتها النسمات فأخذت ترقص وكأنها غوان ثملات ..

وانحدر من على خدي خديجة سيل من دموعها وهي تمعن النظر الى زوجها .. تشفق عليه ، ترحم تعبه وأحزانه ، تبحث فيه عن شمم العروبة وأنفة رجالها ، تنقب بين طيات وجهه عن حبيبها الذي تلاشت معالمه بين مخالب الشقاء وانطفأت حيويته على مر السنين اليائسة .. لكنها حاولت أن تحبس نواح الملاك في صدرها كيلا يكون في انفلاتته زيادة من العذاب لنفسها ولزوجها .

وبان على شفتيها برعم ابتسامة ذابل ، وأمسكت بطفلها بكلتا يديها لتحمله بلطف وتضعه في دفء حضنها .. وصوبت بريق عينيها نحو ذلك الانسان الذي يقاسي آلام نفسه وآلامها هي وآلام طفلهما ، وآلام المصير الذي يفتك بكل الخيام المنتشرة حولهم ، وقالت له :

— هلا جعت يا صالح ؟! قم الى غذائك ، فقد صار الوقت عصرا ، وأنت ما تزال بلا غذاء !! ومالت بيدها على طبق غطى تحته أناء أمتلأ بالفاصوليا « الجافة » المطبوخة ورغيف خبز كانت قد أعدتهما منذ الظهيرة ، وقدمتهما له وهي تحثه على تناول طعامه :

— هيا الى الاكل يا عزيزي !! واستجمع صالح جسده وتقدم نحو الاكل .. لكن شيئا ما كان يثور في دمه ، ويذهب بكل امكانيات سيطرته على نفسه .. انه لا يعرف ما الذي يدفع به الى هذا التصرف . شطر الرغيف الى شطرين ، أخذ من أحدهما لقمة وغمسها في الاناء لكنها لم تخرج منه .. انه لا يقوى على رفع اللقمة الى فمه ، ربما كانت نفسه قد ملت الاكل ، أو أنها مكدودة من عناء النهار الطويل الذي أصابه وهو ينتظر دوره في استلام مخصصاته من الاعاشة .. تسمرت يده برهة كان عقله فيها قد توقف عن التفكير تماما ، وما لبثت أن تحركت بدون وعي منه لتمسك بالاناء وتقذف به الى خارج الخيمة بكل عصبية !!

وأخذ هو يردد كلمات حمقاء ..

لا أريد الاكل !!

لا عاش كل خنوع .. الموت خير من هذه الحياة !!

وانكب بوجهه على الارض كأنه يسجد لله طالبا الموت . أو كأنه يقبل الارض مستحلفا أياها أن تنشق وتبتلعه !!

وطرحت خديجة طفلها جانبا وهرعت الى صالح ، تريد انقاذه !! تريد أن تتحسس آلامه .. وصرخت ملء رأسها !!

.. صالح !! صالح !!

لكن « صالحا » لم يجبها الا بأنين بعيد !! وأخذت تهزه علّه يسمعها ، علّه يجلس أمامها من جديد ليضيء

شموع حياتها .. ولم يسمعها صالح ولم يجلس . وعادت تصرخ وهي تمسك بكلتا ذراعيه ، وتشده الى الوراء بكل قواها لتسند رأسه وظهره الى كيس الطحين .. وهرولت الى باب الخيمة تصرخ وتنتحب طالبة العون من شقيقها ومن جيرانها . وعادت اليه بنحيبها ، وجلست الى جواره تبلل وجهه وشفتيه بالماء وبدموعها الساخنة المنهمرة .

* * * *

امتلأ فراغ الخيمة بالنازحين ، جيران صالح ، كل منهم جاء ليستفسر عما أصاب هذه المرأة وجعلها تصرخ .. كلهم يولولون ويصعدون الآهات جزافا من أجل شفاء صالح .. وكلهم يشجعون خديجة على احتمال الصدمة وينفخون في عزائمها المنهارة كي تكون أكثر جلدا وصبرا في مواجهة المحن !!

خديجة ما انفكت تذرف دموعها السخية .. الملاك الذي طالما كبتته في روحها الذاوية أفلت من عقاله وأخذ يتوجع وينوح ويضرم اللهيب في صدرها المخلص لوجودها ولزوجها ، فيحترق الدم في عروقها ويتبخر دمعا زكيا ليثخن جفونها .. طفلها يبكي تارة ويسكت أخرى ، يطوف ببصره بين أمه وجمهور الحاضرين ، ويمد يده في كل هدأة ليمسح بها على وجه أبيه كأنه يتلو ترنيمة من صلاته مستغفرا له وضارعا الى الله من أجل شفائه . وزوجها ما يزال مضطجعا على حاله ، غائبا في عالم السكينة ، أنفاسه تكاد تكون معدومة لولا هذه الشهقة العميقة التي يتشبث بها بين ثوان وثوان ..

وداهم الليل حشود الخيام بظلمته حتى اذا ما استسلمت له وفقدت كل رجاء في العثور على النور من حولها ، تجمع النازحون في أحشائها وأشعلوا النيران والسرج ليصنعوا الضياء فيها وليبعثوا الدفء في أحشائهم هم !!

وأخذت خيمة صالح تزفر زائريها ، زائرا اثر زائر ، كل الى خيمته .. ولم يبق فيها منهم الا وصفي ـ شقيق خديجة ـ وعائلته ، مكثوا للسهر على صالح وخديجة معا .

وسأل وصفي شقيقته :

ـ ألا تملكون شيئا من المال نستطيع به ادخال صالح للمستشفى ؟!

وأجابته خديجة بعد فترة من التنهدات والتأوهات ..

ـ اننا لا نملك شيئا يا شقيقي !!

وعاد وصفي يقول وهو يؤكد لها أنه هو الآخر لا يملك مالا يساعدها به .

ـ يجب أن نصنع شيئا عاجلا من أجل صالح .. يجب أن تأخذه الى الطبيب ، ولو كان لدي ثمن العلاج لحملته الى الطبيب في الحال ..

ومال وصفي على شقيقته يكلمها بصوت خفيض كأنه يهمس لها بسر يخشى أن يسمعه أحد المارة ، خارج الخيمة ..

ـ خديجة !! ان زوجك ليس مريضا !

ـ نعم !! لقد قتلوه .. قتلوه !!

ولم تتمالك خديجة نفسها .. قدت ثوبها ، لطمت صدرها ووجهها ، وأخذت تزف المزيد من دموعها ونواحها !!

ـ من هم اولئك القتلة السفاحون ؟! ياويلهم من الله !!

ونهض وصفي من مكانه المقابل لشقيقته ليجلس الى جانبها .. انه يخشى أن يسمعها زبانية « أبو حنيك » فيأخذونها وجميع أقاربها بالنواصي والاقداح !! وهمس لها محذرا ..

ـ اسمعي يا خديجة !!

ـ هذا سر يجب أن يظل مكتوما الى أن نتمكن من الثأر له ، فاحتفظي به !

ـ لقد حدثني صالح صباح هذا اليوم أنه كان مارا ظهر أمس بالقرب من قيادة الاركان ، عائدا الى مخيم الحسين ، عندما اعترضه شخصان من رجال المباحث وأوسعاه ضربا وركلا ، بحجة أنهما سمعاه يشتم«الباشا» وشاهداه يبصق باتجاه مكتبه في قيادة الجيش !!

ـ لقد كانت حالته سيئة جدا أثناء النهار .. رأيته ، بنفسي ، يتقيأ دما ، عندما كان راقدا بجانب بناء مركز الاعاشة يتلوى على نفسه من شدة الالم .. ربما فتتوا أمعاءه بأقدامهم !!

* * * *

رباه !! لقد طفح كيل الطغاة فلطخ شرفنا وعرضنا ودنس رجولتنا بالخزي والعار .. رباه !! لقد عم الظلم والبؤس فحطما كياننا ومزقا حياتنا .. اللهم مكنا من الثأر والانتقام يا رب العالمين !!

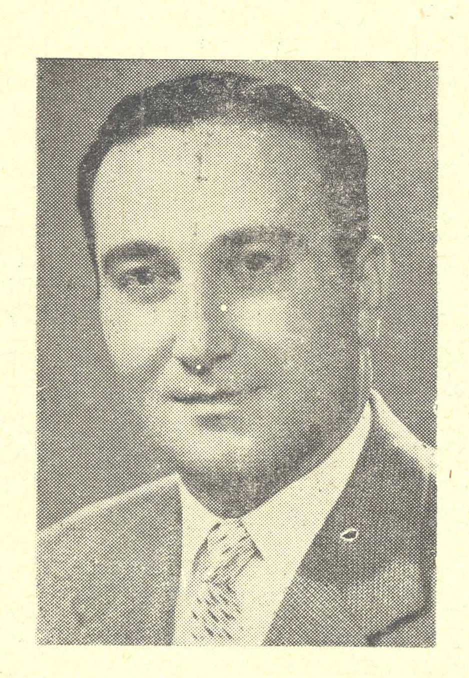
وانتفض صالح في مرقده يحاول النهوض .. يحاول رفع يده ليشير بها الى القتلة ، لكن تيار الحياة في جسده كان قد نضب .. فانسابت روحه الى بارئها وهي تشكو اليه صارخة : « جلوب » !! « جلوب » !!

محمد الخطيب

عند الحدود

شعر

الدكتور صالح الأشتر



« وقف وفد الادباء العرب في قطاع غزة عند الحدود يشرفون على الارض السليبة ، ومد أحد اللاجئين يده يشير الى بيته المغصوب في المجدل خلف الحدود ·· وانهمرت دموعه ·· »

وبكى قلبي معه   حين أذرى أدمعه
والى بيارة   راح يومي أصبعه :

« هذه أرضي أنا
في روابي المجدل
انظروها من هنا
انها تومىء لي ! »

وبكى الصحب معه   ذكريات مفزعة
ليس تجدي أدمع   موطنا قد ضيعه

ظل يبكي بيننا
يا لدمع الرجل !
فنظرنا حولنا
وانزوى في خجل !

لم نزل نبكي معه   بدموع طيعه
هدنا الحزن وأو   جعنا ما أوجعه

ومن الافق دنا
شبح في عجل
صاح كالرعد بنا
« هان دمع الاعزل !! »

شبح قد روعه   هائج كالزوبعه
طيف بيارته   صوتها قد أفزعه

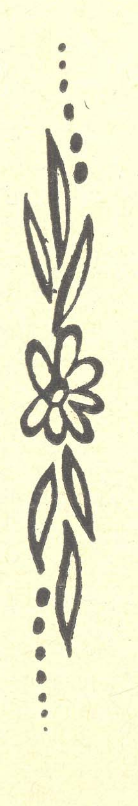
قالت الارض لنا :
« ما الذي أعد لي
أين تسديد القنا
أين زحف الجحفل !

أين نار الموقعه   من يخوض المعمعه
طال أسري فازحفوا   بالرماح المشرعه

ليس عن حرب غنى
فاهجموا كالاجل
واقرعوا سمع الدنى
أين سيف البطل ! »

غزة – تشرين الثاني ١٩٦٠

الدكتور صالح الاشتر



شاعر الظرف والفكاهة :

أبو دلامة

بقلم : عزة بشور

حياته وسجيته :

شاعر الفكاهة والظرف ، زند بن الجون ، الملقب بأبي دلامة ، شاعر خبا مصباح حياته ، وما خبا مصباح ذكره بعد مماته . طلع دنيا العرب في آخر أيام بني أمية ، ولكنه لم ينبغ الا في أيام بني العباس . وقد كني أبا دلامة ، نسبة الى جبل في أعلى « مكة » يقال له « أبو دلامة » كانت العرب تئد فيه البنات في الجاهلية . وبالرغم من أنه لم يكن ذا سيرة هامة في بدء حياته وبالرغم من أنه كان ابن عبد لرجل من بني « أسد » يقال له « فضافض » فقد اتصل بمروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية ، وبالعباس ، وبأبي جعفر المنصور ، وبالمهدي، فكانوا جميعا يقدمونه ، ويصلونه ، ويستطيبون نوادره ومجالسه ، وهو الفاسد الخلق ، الرديء السمعة ، المجاهر بارتكابه للمحرمات .

ويرجع نسبه الى قبيلة بني أسد ، بالنسبة الى قوله في قصيدة حبرها للعباس : « هذي مقالة شيخ من بني أسد ، يهدي السلام الى العباس في الصحف » .

ولسنا نعلم كم حمل على كتفيه من أعوام ، ولكننا نستدل على أنه عاش طويلا حتى بلغ سن الشيخوخة ، وما مل الحياة كما ملها زهير بن أبي سلمى ، من قصيدته التي أرسلها الى السيدة « ريطة » بنت العباس وزوجة المهدي ، مع جاريتها « أم عبيدة » قال :

أبلغي سيدتي ، ان
شئت ، يا أم عبيدة

انها أرشدها الله
وان كانت رشيدة

وعدتني قبل أن
تخرج للحج وليده

فتنظرت وأرسلت
بعشرين قصيدة

كلما تخلق أولى
بدلت أخرى جديدة

انني شيخ كبير
ليس في بيتي قعيده

غير مثل الغول عندي
ذات أوصال مديدة

وجهها أسمج من
حوت طري في عصيده

ذات رجل ويد
كلتاهما مثل القديدة

* * * *

فلما قرئت عليها هذه الابيات ، ضحكت وأمرت له بجارية ومائتي دينار للنفقة عليها .

ويروي كتاب « الاغاني » أن ابنه جلس يوما في محفل في عشيرته بين يدي أبيه وقال :

« ان شيخي كما ترون ، وقد كبرت سنه ، ورق جلده ، ودق عظمه ، وبنا الى حياته حاجة شديدة ، فلا أزال أشير عليه بالشيء يمسك رمقه ، ويبقي قوته ، فيخالفني فيه » .

فمن هذا الكلام نستدل أيضا على أنه عاش حياة مديدة ، لا تقل أعوامها عن الثمانين ، اذ لا يعقل أن يرق جلد انسان ويدق عظمه في أقل من هذه السن ، مهما غمرته المصائب ، ومهما تحمل من هموم ، وعانى من آلام .

واذا كان لكل شاعر ميزة يتميز بها عن سواه ، سواء أكان من الشخصيات الادبية الثانوية ، أم كان من الشخصيات الادبية الكبيرة ، كالمتنبي الذي يتميز بأمثاله السائرة ، وبحكمه الباهرة ، في قصائده الخالدات، وكابن أبي ربيعة ، الذي رسم في ذهن قارئيه صورا خاصة للجمال وللشباب وللغزل ، فكذلك « ابو دلامة » يتميز

شعره ، بالخفة والظرف والفكاهة ، وهذي هي أطبع سجاياه ٠

وهذي السجايا هي التي قربته من الخليفة ، فكان نديما له حلو المزاج ، حاضر النكتة ، وقاد البديهة ، قال : « كنت في معسكر مروان أيام « الضحاك الحروري » وهو الضحاك بن قيس الشيباني ، فخرج منهم فارس فنادى : من يبارز ؟ فلم يخرج اليه أحد الا قتله ، فانقبض الناس عنه ٠ فقال مروان : من يخرج اليه وله عشرة آلاف ؟ قال : فلما سمعت بها سخوت بنفسي في سبيلها، وبرزت اليه ٠ فاذا عليه فرو قد أصابه المطر فابتل ، ثم أصابته الشمس فاقفعل ، فلما رآني فهم الذي أخرجني ، فأقبل نحوي وهو يرتجز :

وخارج أخرجه حب الطمع
فر من الموت وفي الموت وقع

من كان ينوي أهله فلا رجع

ثم حمل علي فوليت هاربا ، ومروان يقول : من هذا الفاضح لنا ؟ فدخلت في غمار الناس فنجوت ٠

هو لم يكن سيفا من سيوف بني « أسد » ولم يكن كميا من كماتهم ، ولكن نفسه المطبوعة بطابع الظرف والخفة والفكاهة ، جعلته أن يلبي نداء أمير المؤمنين ، كما يلبيه أبسل الفرسان ، خرج للبراز وفي نيته الفرار ٠

ومن ملحه مع المهدي ، دخوله عليه وانشاده قصيدة يعجب بها ، فيسأله عن مطلبه فيقول : « يا أمير المؤمنين ، كلب أصطاد به ، وغلام يقود الكلب ، وخادم يطبخ الصيد ودار أسكنها ، وجارية آوي اليها ، ومعاش يدفع عني الحاجة ، فيجيبه أمير المؤمنين : قد أمرنا لك بذلك ، وأقطعناك ألفي جريب عامرة ، والفي جريب غامرة ، فيقول : أنا أقطع أمير المؤمنين خمسين ألفا من فيافي بني « أسد » فيجيبه المهدي : جعلناها لك كلها عامرة ٠

وكان المهدي قد كساه ساجا ، فأخذ به وهو سكران، فأتي به الى المهدي ، فأمر بتمزيق الساج عليه ، وبحبسه في بيت الدجاج ٠ ولما استفاق من سكره وهو في بيت الدجاج ، طلب من السجان أن يأتيه بورق ودواة ، فأتاه بما طلب ، فكتب الى المهدي :

أمن صهباء صافية المزاج
كأن شعاعها لهب السراج

أقاد الى السجون بغير ذنب
كأني بعض عمال الخراج

ولو معهم حبست لهان ذنبي
ولكني حبست مع الدجاج

دجاجات يطيف بهن ديك
يناجي بالصياح اذا يناجي

وقد كانت تخبرني ذنوبي
بأني من عذابك غير ناج

على أني وان لاقيت شرا
لخيرك بعد ذاك الشر راج

ثم قال : أوصلها الى أمير المؤمنين ، فأوصلها اليه السجان ، فلما قرأها أمر باطلاقه ، وأدخله عليه فقال : أين بت الليلة ياأبا دلامة ؟ قال : مع الدجاج ياأمير المؤمنين قال : فما كنت تصنع ؟ قال : كنت أقاقي معهن ٠ فضحك المهدي وأمر له بصلة جزيلة ، وخلع عليه كسوة شريفة ٠

عصره :

عصر أبي دلامة ، عصر انتقال من البداوة الى الحضارة ، التي هذبت خيال الشعراء ، ونظمت أفكارهم، فخرجوا على عمود الشعر من وقوف على الاطلال ، وتغزل بالحبيبة ، الى الانتقال لذكر الممدوح أو الغرض الذي يريدونه من القصيدة ، وبخروجهم هذا ، مالوا الى استعمال السهل من الالفاظ ، والابتعاد عن الغريب منها جانحين الى تزيينها وتنميقها ، مستمدين من العصر والبيئة معانيهم الجديدة ، مستخرجين مما حولهم من بساتين ورياش وزخرف ، التشابيه الجميلة ، حتى أصبح الشاعر منهم مرآة لعصره ، معتزا بكيانه ، شاعرا بشخصيته ، خلافا للشعراء في العصور الخوالي ، من الذين سبقوه ٠

اعتمد بنو العباس على السيف ، لا على الشعر ، في تأييد سلطانهم فقل الشعر السياسي وكثر الشعر الماجن ، وكذلك شعر المديح ٠ وهذا مما جعل « أبا دلامة » يبتعد عن نظم الشعر السياسي ، ويكتفي بأن يكون نديما للخليفة ، وشاعرا يجيد الفكاهة ، وليس أدل على ذلك من هجائه نفسه ، عندما أمره المهدي بهجاء أحد الحضور في احدى جلساته ، قال :

ألا أبلغ اليك أبا دلامة
فليس من الكرام ولا كرامة

اذا لبس العمامة كان قردا
وخنزيرا اذا نزع العمامة

جمعت دمامة وجمعت لؤما
كذاك اللؤم تتبعه الدمامه

فان تك قد أصبت نعيم دنيا
فلا تفرح فقد دنت القيامه

فضحك المهدي ولم يبق أحد الا أجازه .

ان الشعر العربي متسم بالميزة التصويرية المرافقة له في جميع عصوره ، وفي جميع ضروبه وأشكاله ، وأجمل الصور ما كان قريبا من الواقع والعقل والحالة الراهنة التي أثرت في نفس الشاعر . والصورة في شعر « أبي دلامة » هي دائما قريبة من الواقع ، بعيدة عن الغلو والاغراق .

شعره وأثره :

من يطالع شعر « أبي دلامة » يجد فيه تجديدا ظاهرا ، وان كان طفيفا ، تبعثه قريحة شعرية فياضة ، ولكنه لا يجد فيه الفن الشعري البديع لعدم اعتماده على الوسائل البيانية . وانما يجد القصيدة من حيث الوحدة ، والترابط ، والتناسق ، كالبنيان المرصوص . وليس أدل على ذلك من فائيته التي يصف بها هيامه بجارية ، ويستحث العباس على شرائها له . ولما قرأ العباس القصيدة أعجب بها واستظرفها وقضى عنه ثمن الجارية . وهذي هي بعض أبياتها :

قف بالديار وأي الدهر لم تقف
على منازل بين (الظهر) و (النجف)

وما وقوفك في أطلال منزلة
لولا الذي استحدثت في قلبك الكلف

ان كنت أصبحت مشغوفا بجارية
فلا وربك لا تشفيك من شغف

ولا تزيدك الا العل من أسف
فهل لقلبك من صبر على الاسف

* * * *

هذي مقالة شيخ من بني أسد
يهدي السلام الى العباس في الصحف

وبينما الشيخ يهري نحو مجلسه
مبادرا لصلاة الصبح بالسدف

جانت له نظرة منها فأبصرها
مطلة بين سجفيها من الغرف

صينت ثلاث سنين ما ترى أحدا
كما تصان ببحر درة الصدف

الى آخر ما هنالك من وصف هذه الجارية التي بالغ في وصف هيامه وتعلقه بها ، وما فعل به حبه لها .

في هذه القصيدة رقة ألفاظ تنم عن شاعرية لفظية قوية . وفيها تماسك ، وفيها سلاسة وسهولة . وأقرب الشعر الى الجمال ما كان سهلا بسيطا ، بعيدا عن فظاظة الالفاظ ، وعن الغلو الممقوت ، قريبا عند نثره من النثر . وهذي أبيات لا تحتاج الى كبير عناء في نثرها ، ولو أردنا نثرها لما وجدنا كلاما أوجز منها يفي المعنى .

لقد أوتي الشاعر البساطة المتناهية في شعره ، ولم يحمل الكلمة فوق طاقتها ، وقدم لنا شعرا عربيا صافيا ، فأحكم بذلك بنيان البيت الشعري . وقديما سأل « فرلين » ربه أن يمنحه هذه البساطة وهذه السهولة .. ألا يخاطبنا البعض من شعراء هذا الزمان بلغة لا نفهمها ؟ ألا يأتون بصور بعيدة عن الخيال والمنطق ؟

الشعر هو صدى النفس ، وحسبنا من شعر « أبي دلامة » أنه يعبر عن نفس صاحبه . لقد كانت نفسه صافية ، فجاء بشعر سهل صاف ، لا غلو ولا تعقيد ولا ابهام . لقد تناسى ما ترك غيره من تعابير ، فعبر هو كما شاء ، غير مبال بعمود الشعر . هو شاعر من شعراء الصحراء ولكن شعره لا أثر فيه للجفاف . أرأيت هذه السهولة وهذه السلاسة ما ألطفهما ؟

ان التجديد ظاهر ولا شك في شعر « أبي دلامة » وسبب ظهوره يرجع الى تغير الحياة الاجتماعية تغيرا مبينا . فولاة الامور من الحكام والامراء والملوك ، ما عادوا يستحسنون من الشعراء قصائد المدح على النمط القديم . لهذا عمد الشعراء الى استنباط الجديد حائدين عن المناهج التقليدية .

والخلاصة ، عن « أبي دلامة » أنه كان من الشعراء الذين ضمنوا قصائدهم كل ما وقعت عليه عيونهم ، فنبهوا بذلك الشعراء الذين جاءوا بعدهم الى ضرورة تصوير عصورهم . وهكذا قد أثر « أبي دلامة » في الشعراء الذين أتوا بعده ، كأبي نواس الذي تأثر به ، فأضرب عن الاستهلالات البالية ، محاولا تنزيل الاصنام ، وتهديم القوالب .

صافيتا : عزة بشور

الضياع الحزين

بقلم : يوسف الحاج

الى س : ك . لوحة من حياتي . علها تذكرها في ضياعها الحزين ..

كنت طالبا أحضر الشهادة الثانوية، أحلم بمستقبل هادئ كسول .. كنت بلا مسؤولية مطلقا ، أتمتع بحريتي . وكان هناك القدر ، يهبط كالليل الوحشي ، يتسلل ببراعة ليضرب ضربته الرعناء .. كنت أحلم بشباب وردي يتفتح .. بعيش ضبابي لا ظل للارهاق فيه .. كنت كطفل يلهو بزورقه الورقي على ضفاف نهر الحياة .. وأفلت الزورق في غفلة منه ، فلم يسعه الا أن يتأمله في دهشة وفتور حقيقين ..

منذ عشر سنوات طردني شبحها من المدرسة الى الابد ، وقادني عبر امتحان ناجح ليمنحني قرارا أصبحت بموجبه معلما . أصبح لي مرتب . واستطعت منذ ذلك الحين أن أكسب حياتي بعرق الجبين ، واغتربت عن عالمي .. ذقت طعم الحياة دفعة واحدة .. الفراغ . المرض . الانطواء . تضافرت ألوانها البلهاء ، وأخذت تنفث سمومها في الفضاء الذي لم أكن أراه في يوم من الايام ، الا صافيا كالصبح .. ككل شيء جميل .. ولكن كل هذه الاشياء القاسية ، كانت تتحول الى غيمات ضبابية ، ورعشات وجدانية خصبة ، حينما تطل عينان من البعيد وتتطلعان في شبه ابتهال « من أجلي » . بلى من أجلها تنازلت عن مسيرتي المرسومة .. تخليت بدون اختيار عن جزء من كرامي . « من أجلي » قالتها بصوت حنون لا تصنع فيه ، والتهمنا عيون الاطفال عبر براءة السنين ، الحاضر . المستقبل في رهان دائم .. الحاضر . المستقبل .. انتظار لا ينتهي ..

في أغلب الليالي ، أغمضت عيني بنعومة على صورتها ، مدغدغا اياها بألوان دافئة كالخمر .. كالموسيقا الالهية .. كالحب في نشيد الانشاد .. وكثيرا ما اختلطت حروف الكتب وضاعت الاسطر شيئا فشيئا ليرتسم بهدوء ، وجهها الجميل بابتسامته العذبة المميزة وصفائه البكر . ذلك الوجه الذي ما انتهيت من مطالعته حتى الآن ، لانه سفر الابدية المفتوح دائما لابناء الضياع والتشرد ليطالعوا فيه ضياعهم وماضيهم الحزين .. أبدا سيظل القطار يستدعيني .. ستظل أجراس المحطة تقرع لحنها الوداعي الرتيب .. بينما المصلوب على الارصفة القطرانية السوداء .. المسمر أبدا بمسامير الوهم ، يجمع الاطياف المكسرة .. يحصد الهشيم .. يزرع الدرب من جديد أغنيات يتيمة . ويستيقظ ، فاللفافة تلفظ أنفاسها في ملتقى اصبعيه ، وتتصاعد الابخرة من صفحات الكتاب ، وتتكاثف سطورا وأحرفا من جديد ، وتحل مكان الوجه معان وحركات . جمل وأفكار ..

في وحدتي الموحشة ، تخيلتها وقد كادت أن تصل الى حدود قريتي البعيدة .. وقد أنهكها السفر الطويل . ضفائر مسترخية في كسل واه على صدرها ، خصلة صغيرة ترتعش على جبينها اللؤلؤي .. وتتجسد بقوة خانقة كلما استغرقت في وحدتي . وحينما كنت أعيش في الداخل .. كنت أسمعها تكلمني عن الاشياء التي أحببناها معا . ويساورني شعور رهيب ألا أكون في حلم . لكن شمس الظهيرة المرهقة كانت تعيدني الى الواقع .. الى السأم .. فأخرج من احدى جيوبي رسائلها .. كلماتها القليلة كخلاصة العطر .. صليب العزاء الكبير .. وأغرق في جو مدينتي الوادعة أتحسس أطيافها المسائية .. وتنساب الي غنوة جرس دير بعيد .. بعيد .. وتغني مشاعر الاغتراب ..

وتمر الامسيات لا لون لها ، لا أسماء .. يقتل بعض الملل مذياع مخلع توجه الغبار باكليل نسجته العاصفة في سماء مدينة الغرب ، وحملته اليه كما تحمل الثلوج الى ذرا صنين .. الى مروج بلادي الوادعة التي تموج بالعطاء الكبير .

كانت بعض هذه الاغبرة تتغلغل حتى أعماقي ،

فتغلفها وتحجب عنها المتع البسيطة ، وتتراكم على مر الزمن لتصبح سورا بيني وبين العالم ، أو جدارا لقبر كبير ٠٠ فأقبع في زاوية غرفتي متلاشيا كسحائب الدخان وكل ما حولي طبيعة صامتة رهيبة تنضح القرف ٠٠ لقد كنت حديث التجربة بالاغتراب ٠ ويصعب علي أن أتلاءم بسرعة مع الاشياء التي تفرض نفسها علي بقساوة ٠٠ لهذا السبب كنت أتمرد كالشيطان ٠٠ لكن هذا الرفض كان يعذبني ٠٠ كنت أشعر بالتمزق حينما أكون وحيدا ٠٠ وحينما أجلس مع الآخرين ٠ كانت لديهم أشياء يتكلمون عنها ، أما أنا فليس لي شيء ٠٠ ليس لي نفس ٠٠ ليس لي حياة ٠٠ فعن أي شيء تريدني أن أتكلم ٠ فألواني محترقة ، وينابيعي قد غاضت ولم يبق فيها غير الحصى العطشى ، يلفحها الهجير في الظهيرة العظمى ٠

كثيرا ما انسللت من غرفتي المرعبة وانتعلت الدرب الوحيدة التي تصل قريتي بالنهر ٠٠ ولليل سحر بغي مسنة ، وكآبة عاشقة مترفة ٠٠ كان هناك خيط رفيع بين حافة النهر وغرفتي ٠٠ يهتز بقوة في ساعات الخطر ويشدني بعنف نحو أحضان الطبيعة الشاحبة المتعبة ، المتلاشية كبقايا نفسي ٠٠

لولا خروجي من غرفتي ما يحدث ؟ انني أكذب عندما أقول لن يحدث شيء مطلقا ٠ لقد كانت نفسي تحاورني لاقرر ٠٠ كان يصعب علي جدا أن أقرر ٠٠ فهناك أشياء تمنعني من أن أقرر بصورة منفردة ٠٠ ثمة انسان له الحق أن يقرر معي ٠٠ أن يدفعني الى القرار ٠٠ ذلك الانسان الذي قال : « من أجلي » ٠ ومن أجله يجب أن أعيش ، أن أقاوم ، وأن أتحدى ٠٠ وأرتمي عند الضفة ٠ وأنصت الى النهر في صلاته الابدية ، أشاركه الصلاة لارتاح ٠٠ يا الهي ما أروع اختياره ٠ لكن الاوراق الخريفية المسجاة على أكف المياه الفضية ، كانت تذكرني أبدا بزورقي الذي تاه وحمل معه نفسي الشابة، وكل ما أملك ٠ وأستمر في صلاتي الطويلة ٠٠ وتنتهي حينما يكنس الفجر آخر نجمة متحدية ، زرعها الليل في مسيرته اللامتناهية ٠٠ وأسمع من البعيد قهقهات مجنونة ، صاخبة همجية تلطم مسامعي ٠ انسان آخر متعب ٠٠ فنان جديد يولد الالوان من محاق ٠٠ فأرتعش وأمد يدي في الفراغ لاخنق الصدى الملعون ٠٠ لاغتاله ٠٠ لاتخلص من سخريته ومن عبثه ٠ ولكن ٠٠

وأرجع مع الخيوط الاولى لفجر جديد ٠٠ ليوم يولد مع خطا الفلاحين الذين أحبوا في (الاستيقاظ المبكر) كما أحبوني لانني أعلم أولادهم ، ولانني كنت غريبا عن طينتهم الطيبة ٠

وعلى الدرب ٠٠ درب عودتي ، يتصارع التفاؤل الصباحي مع السأم الاصيل الابله ٠٠ وكنت أراقب بجدية هذا الصراع كنا قد له علاقة في الموضوع ٠٠ وليس له علاقة ٠ وأمسح بلا مبالاة عفوية الندى المتكاثف على قصصي الطويلة المتمردة غير المهذبة ٠ وأتلهى بسماع النشيد الازلي تعزفه أنامل الطبيعة الكوكبية ٠٠ حقول جديدة خضراء ، وأخرى جرداء بلقع ٠٠ لا أعلم بالضبط أيها أحببت ، لان النشيد كان يتهادى من كل جهة وليس من جهو معينة ٠٠ وأصل الى غرفتي الرمادية التي تغني لي أغنية الصمت كأنها عالم كامل زاخر بالتجربة ٠٠ تجعدت وشاخت وملت الغناء ٠٠ وأرتمي على سريري يهدني الاعياء ، والخيط الرفيع قد بلغ غاية التوتر ، يتمدد ٠٠ يتمدد ويستريح ٠ حينئذ كنت أستغرق في غيبوبة طويلة ٠٠ أعيش في دنيا لا واعية يتفاعل في أجوائها البخور بالموسيقا والشعر ٠٠ بالعبادة والايمان الطفولي الصافي ٠٠ بالحب الصوفي والاناشيد الوثنية ٠٠ فتنعم روحي بالراحة والسلام لانها لم تستطع رفض هذه الاشياء ، بل عشقتها وأطاعتها ٠٠ لانها لم تعذبها ٠ فالرفض وليد العذاب ، وهو نتائج لا أسباب ٠٠

* * * *

الساعة الثامنة تقرع دقاتها الرتيبة معلنة بدء القيام بالواجب ، هذا الوجه الثاني للعيش ٠ وتدفعني مرغما الى العمل ، الى التنكر لطبيعتي اللامجدية ٠ تقرع من جديد وتقرع ٠٠ وينتهي العام الدراسي الاول والثاني ٠٠ وتتعرى الغرفة الرمادية رغم عريها ٠ تتمرد على الصمت لتغني نشيد الوداع الاخير ٠٠ وتعزف بصخب سمفونية الفراغ المرعب بأناملها النارية النزقة ، بينما تتكدس معالمها في جوف حقائب السفر المستوفزة التي تتعجل الرحيل ٠٠ !

على رصيف المحطة ، وقفت أتأمل الوجوه الغريبة ، وجوه أعرفها جيدا لانني واحد منها ٠ من المجموعة التي يتأملها انسان في الطرف الآخر من الرصيف ٠ غرباء ، وتبتلعني الكلمة القاسية الجوفاء ، فأتلاشى للحظات من الوجود المحدود ، وأشعر بالخيط الرفيع وقد تحول الى أنشوطة حول عنقي المبلل بالعرق الساخن ٠ أما طرفه الآخر فقد شد الى نافذة عربة من الدرجة الثالثة ، استوعبت منذ عامين حتى أدق ملامحها في جلاء النهار وهدأة الليل ٠ ولم تزل نهايات اللفافات المتناثرة على

أرضها الخشبية ماثلة لعيني .. وذلك الرجل الغريب الذي ما انفك يتطلع الى رأس حذائه طيلة ستة عشر ساعة وكأن الوجوه الآدمية التي لا يعرفها ، لا تسليه أبدا .. لم تزل صورته بخطوطها المنكسرة ماثلة في مخيلتي .. قبعته مائلة الى أمام .. لم ينهض طلبا للماء، لم يأكل شيئا البتة . كان يدخن .. كان يأكل ذاته بشراهة وعمق . كان ضائعا مثلي الآن ..! كان ذلك في تشرين الاول ، في خريف منصرم ونحن الآن في نهاية حزيران بدء الصيف المرهق ..!

تلاشت المسافات ببطء . القطار يتسلق بصعوبة نهاية دربه المألوف ، ويقترب من غاية شوطه كلما تراكمت الساعات المقتولة تحت عجلاته التي لا ترحم . لم يبق سوى محطة واحدة ، ساعة تريد أن تقتل . ساعة واحدة هي ساعة الوصول . لفائف أخرى تريد أن تزرع في صدري مزيدا من السعال اللعين . وأخيرا توقف القطار لدى رصيف آخر عتيق لم يغترب ، ونزفت علبتي آخر لفافة فيها دخنتها ريثما تنتهي بعض الاجراءات الروتينية .. وفي طريقي الى البيت كنت أطالع الغيب باحساس حزين . لم يستقبلني أحد في المحطة ، رغم أني كنت بأشد الحاجة الى معونة انسان . وكنت قد خلفت ورائي حينما رحلت مخلوقة جميلة يجب أن تستقبلني لتغمرني بحنان لقائها .. ولكن لا أحد .. !

ها هو البيت الحبيب ، أبوابه مغلقة وقرميده يئن من وطأة الحر . وقفت العربة فنزلت مع حقائبي وقرعت الباب ورحت أعد نفسي لاعظم لقاء بعد اغتراب طويل . واستبطأت الجواب فقرعت ثانية في الوقت الذي انشق فيه الباب عن وجه أمي وقد هدمته السنون والوحشة ، فعانقتني بحرارة وذرفت دموع الفرح الرصين . ذهبت الى غرفتي لاتحسس وجودها . كان السرير مرتبا والمكتبة وادعة هانئة . والستائر زرقاء جديدة . وطاولتي وتمثال بيتهوفن النصفي ، وعند التمثال لمحت بطاقة كبيرة ومغلفا صغيرا . فتحت البطاقة فاذا هي دعوة لحضور زفاف تاريخه مطلع حزيران ، بدء الصيف المرهق . وأحسست بالخيط الرفيع .. بالانشوطة تضيق وتضيق ، وكان طرفها الآخر معلقا في أعلى السقف . حركة واحدة وينتهي كل شيء ..! أما الرسالة الصغيرة فلم أفضها حتى اليوم .. لانني لن أطالع فيها حروفا طبيعية ، لن أجد في داخلها سوى صفحة صغيرة سوداء لا تعني شيئا ..

كانت أمي تقرأ في وجهي الانفعالات المخنوقة ، ورغم كل شيء ابتسمت لها ومضينا الى غرفة أخرى . وكان أن كفت الطبيعة الصامتة عن عزف آخر لحن من قصيدة الضياع الحزين !! – انتهت –

الجسر

شعر : الدكتور خليل حاوي

وكفاني أن لي أطفال أترابي
ولي في حبهم خمر وزاد
من حصاد الحقل عندي ما كفاني
وكفاني أن لي عيد الحصاد
أن لي عيدا وعيد
كلما ضوأ في القرية مصباح جديد
غير أني ما حملت الورد للموتى
ولم أحفل بأعراس العبيد
طفلهم يولد خفاشا عجوزا
أين من يفني ، ويحيي ، ويعيد
يتولى خلقه طفلا جديد
غسله بالزيت والكبريت
من نتن الصديد
أن من يفني ، ويحيي ، ويعيد
يتولى خلق فرخ النسر
من نسل العبيد

* * * *

أنكر الطفل أباه ، أمه ،
ليس فيه منهما شبه بعيد !
ما له ينشق فينا البيت بيتين
ويجري البحر ما بين قديم وجديد !
صرخة تمزيق ارحام ، وتقطيع وريد
كيف نبقي تحت سقف واحد
وبحار بيننا ... سور عنيد ؟
ومتى نظفر ... نشتد ونبني
بيدينا بيتنا الحر الجديد

* * * *

يعبرون الجسر في الصبح خفافا
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيد
من كهوف الشرق في مستنقع الشرق
الى الشرق الجديد
أضلعي امتدت لهم جسرا وطيد

* * * *

« سوف يمضون وتبقى
فارغ الكفين ، مصلوبا ، وحيد
في ليالي الثلج والافق رماد
ورماد النار ، والخبز رماد
جامد الدمعة في ليل السهاد
ويوافيك مع الصبح البريد :
.. صفحة الاخبار .. كم تجتر ما فيها
تقلبها ، تعيد .. !
سوف يمضون ، وتبقى
فارغ الكفين ، مصلوبا ، وحيد . »

* * * *

اخرسي يا بومة تقرع صدري ،
بومة التاريخ مني ما تريد ؟
في صناديقي كنوز لا تبيد :
فرح الايدي التي أعطت
وايمان وذكرى ،
ان لي جمرا وخمرا
ان لي أطفال أترابي
ولي في حبهم خمر وزاد
من حصاد الحقل عندي ما كفاني
وكفاني ان لي عيد الحصاد
يا معاد الثلج لن أخشاك
لي جمر وخمر ومعاد ..!



راقصة

شعر ..

حامد حسن

سكر الندي بها ، وجن الخمر ، وانسفح الملاب
وتكاد تقفز من عيونهم ، الى الحمل الذئاب
فتململ الملهى . وخاف على طهارته التراب
عبرت .. كما ارتعشت على سطح المعتقة الحباب
رقصت .. ورش الطيب في الخطوات ، والالق المذاب
وتدور .. تخطئها العيون الراصدات ، فما تصاب
وتقصفت جسدا تكاد عليه تحترق الثياب !!
شفت غلائله ، وكيف يحجب الشفق الضباب
تعوي ، وتنبح من سعار الجوع في دمه الرغاب
وتعب كأس الخمر ظامئة ، فيشربها الشراب
ظمأى ، تعاتبني ، وأشفق ان يلم بها عتاب
ظمأى ، وبي عطش الشراب ، أيطفىء الظمأ السراب

* * * *

ما للجمال ؟؟ يجوع ، يظمأ ، يستغيث ، ولا يجاب
عندي له عطش الشبيبة ، والمجاعة ، والشباب
والشعر ، اللهف المزلزل ، والتحرق ، والعذاب
لا ، لا أثاب اذا ذبحت رغائبي ، لا ، لا أثاب

حامد حسن

فن الخزف عند العرب

في العصرين الاموي والعباسي

بقلم :
وهيب داي الدين

يشغل فن الخزف مكانة مرموقة بين الفنون العربية ، وتفنن الفنانون العرب به ، فقلدوا وابتكروا ، وأخذوا واعطوا ، وأصبحت عندهم مدارس خاصة اتبعت طرقا معينة ، وعرفت في جميع الاماكن . وسأمر سريعا على نشأة هذا الفن الاول حتى الفترة التي حددتها لموضوعي هذا .

قبل الفتح العربي كانت صناعة الخزف محلية تقليدية تتبع أساليب رومانية واغريقية حتى تعودلاصلها الفينيقي العربي في شمالي جزيرة العرب . كما أن تأثيرات دينية ظهرت بها ، وخاصة التأثيرات المسيحية . أما في شبه الجزيرة العربية فكان الخزف أقل اتقانا وكثرة من باقي البلاد الا في مواطن الحضر ، لهذا نعتبر أن الفتح العربي بداية عهد جديد في فن الخزف العربي ، الذي خضع في بادىء الامر للصناعة التقليدية السائدة في كل البلاد العربية وخاصة في الاقليم السوري والاقليم الجنوبي والعراق وفارس .. ثم تطوروحصلت ابتكارات عربية صميمة في القرن التاسع الميلادي ، ولا سيما في الزخارف والالوان والصناعة . وقد أكدت ذلك الحفريات التي أجريت في كثير من الاماكن وخاصة في الفسطاط وسامراء والمدائن والري والسوس ونيسابور وافراسياب، من قبل البعثات الاثرية والمتاحف ، وأخص بالذكر متحف المتروبوليتان . وظهرت أنواع عديدة للخزف ، وكانت على درجات . فمنها ما كان للعظماء والحكام الذي احتوى على الزخرفة الجيدة والبريق المعدني والطلاء بالمينا . وأماكن الصنع كانت في مدن الحكام والشخصيات الكبيرة الذين كانوا يشجعون هذه الصناعة نظرا لمتطلباتهم منها . وهناك الخزف الشعبي الذي يصنع في الارياف ، وهو أدنى كثيرا من خزف المدن ، رغم أنه توجد به زخارف ورسومات ذات قيمة فنية .

هذا من حيث تصنيف الصناعة للخزف أما من حيث الزخرفة فللخزف العربي عدة أنواع من الطرق المتبعة في العصرين الاموي والعباسي وأبرزها هي :

١ – طريقة طلاء الخزف بلون واحد :

نما هذا الاسلوب من فن الخزف في العصر الاموي ونضج في العصر العباسي ، وتفرع لزمرتين :

آ – جرار كبيرة مطلية بدهان براق ، وملونة بالازرق والاخضر . وزخارفها بارزة ، ومؤلفة من أشرطة وتفريعات نباتية ، التي تشبه زخرفة أساليب العهد الساساني الفارسي . ويصنع هذا الخزف على طريقة الصب في القرطاس ، التي تتبع عادة في صناعة الخزف غير المدهون .

ب – النوع الثاني أكثر رقة ، وهو مؤلف من أطباق وأكواب وزمزمات وأوان .. الخ . منها ما زخرف بجليات بارزة ، ومغطاة بدهان أخضر براق . ومنها ما زخرف برسوم هندسية ونباتية وأوراق تشبه ما كان عند البارتيين والساسانيين ، وهناك صحون مغطاة بطلاء أصفر مصنوع من أملاح الرصاص والحديد والانتيمون . وهذه الصحون ذات بريق ذهبي ، الذي هو من بريق معدني حقيقي أو بريق خزحي (أي المتغير اللون من انكسار الضوء عليه) ، والارجح في صحون سامراء والفسطاط والمدائن والسوس ، انه بريق معدني حقيقي نظرا لوجود الاملاح المعدنية بالطلاء .

٢ – طريقة الدهان والزخرفة المحززة :

لقد عثر على كثير من الخزف الذي يحمل هذه الطريقة في جميع البلاد التي خضعت للحكم العربي في العصرين الاموي والعباسي ، بواسطة الحفريات واكتشاف المطمورات . فقد وجد منها ما يعود تاريخه للفتح العربي مزينة بزخارف محزوزة على قشرة رقيقة بيضاء مطلية بطلاء شفاف رصاصي اللون . ويسمى هذا النوع بين تجار العاديات بـ « الجبري » ، ويكثر في فارس . أما طريقة الزخرفة بالحز ، فهي بسيطة جدا وتعتبر أبسط طرق الزخرفة للخزف . وهذه الطريقة قد نشأت في

العصر الاموي ، واكتملت في العصر العباسي ٠ ومن هذه الزخارف مجموعات تمثل طيورا أو حيوانات وتفريعات نخيلية وكتابات عربية بخط كوفي ٠ وتوجد تأثيرات ساسانية متمثلة في المراوح النخيلية ، لهذا ترى براعة مدينة نيسابور بهذا النوع من الزخرفة في القرن التاسع ميلادي ، ولا سيما في الحزوز والتعريقات الملونة بالبني والاصفر والاخضر والارجواني ، وتركت اللون السمني لمدينة الري ٠ وهذا النوع من الخزف يمثل حلقة الاتصال بين الخزف التقليدي القديم والخزف العربي الحديث آنذاك ، فقد رأينا تأثره بالخزف الساساني ٠ كما انه تأثر بالخزف الصيني ، وهذا يعود لملول الخلفاء العباسيين من الاخزاف المعتادة وميلهم للجديدة ، فاستوردوا كثيرا من الصين الذي يعود تاريخه لعهد أسرة يانغ ٠ وقد عثر على كثير منه في حفريات سامراء والمدائن ونيسابور ٠ ولكن لم يفرض نفسه ، بل استرد الخزف العربي شخصيته ، اذ أصبح فنانو العرب يستخدمون الالوان المتعددة كالاصفر الفاتح ، والاخضر الفاتح ، والارجواني الفاتح ٠ كما استعملوا الاشكال القوية المفقودة من الصين ٠ وهكذا استطاعوا أن ينفلتوا من قيود التقليد الصيني ، الا في زهيرات اللوتس الصينية التي بقيت متشبثة بجمالها ، ليتمثلوها بالتفريعات النباتية والمراوح النخيلية المرسومة ضمن أشكال هندسية كالدفاتر والمعيقات ٠

٣ ـ خزف طريقة الدهان مع الزخرفة المرسومة :

لقد ظهر تطور ملموس على زخرفة الخزف المدهون، اذ وجدت به موضوعات مرسومة تحت طبقة شفافة ، أو فوق طبقة معتمة ، وألوانها مختلفة التي يبرز الازرق الزهري بينها ، وكلها ذات بريق معدني ٠ وتعتبر هذه الصناعة في زخرفة الخزف جديدة وحديثة ، وموطن ابتكارها الاصلي العراق ٠ وهذه الابتكارات الجديدة كانت كزرقة يصل التطور في فن الخزف العربي الذي ظهر فيما بعد ٠

٤ ـ طريقة الرسم تحت الطلاء :

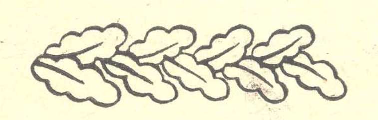
وهناك نوع من الخزف الذي يحمل زخارف مرسومة تحت الطلاء ، وملونة بعدة ألوان ، وهذه الزخارف عبارة عن أشكال هندسية مقررة ، وأشرطة لكتابة كوفية جميلة ، ومراوح نخيلية وتواريق وورود وطيور وحيوانات ، كما يوجد بينها رسوم آدمية ، وكل هذه الزخارف تشغل خارج الاناء ٠ وهناك أخزاف شعبية معاصرة لها ومن نوعها ، ورسوماتها عبارة عن أشرطة نباتية على أرضية متقاطعة الخطوط ٠ وأما الوانها يسودها الارجواني الفاتح والاصفر والاخضر ٠

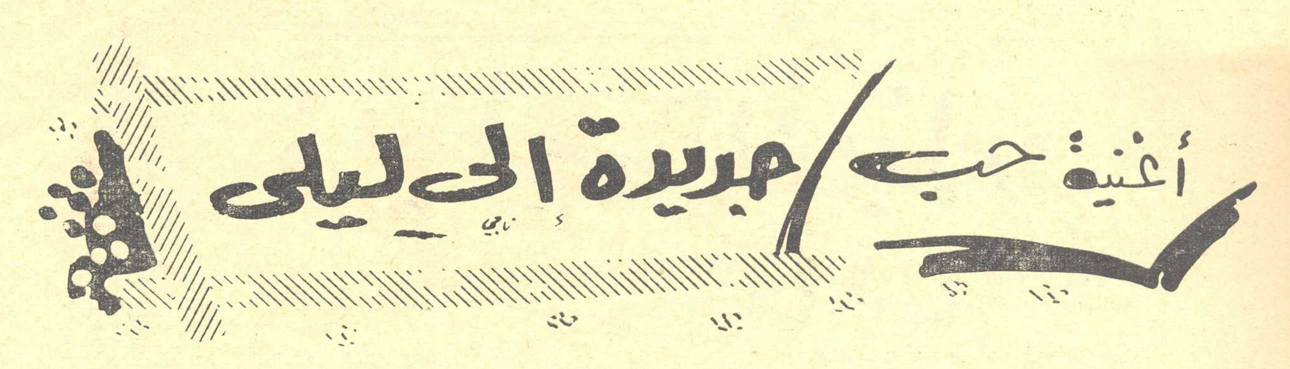
٥ ـ طريقة الزخرفة المرسومة بالبريق المعدني :

الخزف الذي يحمل هذه الطريقة أغلبيته خزف عباسي ، وموطنه الاول العراق ، وكما أثبتت مكتشفات سامراء ، وامتد منها الى المدائن والسوس شرقا والى الفسطاط بمصر والقيروان بتونس غربا ٠ وتذكر المصادر العربية ان بلاطات محراب مسجد سيدي عقبة في القيروان ، بتونس ، وعددها ١٣٩ بلاطة ، من بغداد استوردها الامير زيادة الله الاول الاغلبي (٨١٧ـ٨٣٨م) أما زخارف هذا الخزف المرسومة بالبريق المعدني المحلي، تعتبر من أجود زخارف الخزف في هذا العصر (العباسي) أما البريق المعدني فهو من صنع عربي خالص ، وبلغ ذروته في نهاية القرن التاسع ميلادي ، وساد في الشرقين الادنى والاوسط فيما بعد ٠ واختلف العلماء حول مكان النشوء ، حتى قام العالمان الاثريان « زره » و «هرتزفلد» في حفريات واسعة النطاق في سامراء ودرسوا هذا البريق المعدني على الاخزاف المكتشفة ، فأثبتوا أن موطنه الاول العراق ومنها نشأ ٠ ثم تحمس علماء الآثار الفرنسيين ، ولا سيما ككلان منهم ، وقالوا أن مدينة الري هي مهده الاول ومنها انحدر لفارس ثم للعراق والبلاد العربية جمعاء ٠ وهناك فريق ثالث يرجح المنشأ الاول له مصر ، ولكن الاصح ما قاله زره وهرتزفلد ٠ والرسوم لهذا الخزف مؤلفة من صور حيوانات أو كتابات كوفية ٠ أما الالوان فمتعددة ، منها الذهبي المصفر او الذهبي المخضر ، او البني ، وكلها فوق طبقة مينا قصديرية ٠ وهناك اللون الاخضر الزيتوني والفاتح ، والبني المائل للحمرة ٠ أما الزخارف فهي تفريعات نباتية بشكل الاقماع والازهار غير طبيعية ٠ وهناك تواريق ومراوح نخيلية متنوعة ، أبرزها المراوح الثلاثية الفصوص والمراوح المجنحة التي تعود لتأثير ساساني ، ويملأ الفراغ رسوم هندسية ، تشبه قطع الفسيفساء كالمعقبات والدوائر المنقطة في الخطوط المتوازية ، وفروع نباتية أخاذة ٠

وهكذا أتيت على ذكر أهم أنواع الخزف الذي ساد في العصرين الاموي والعباسي والتي كانت في طليعة فن الخزف في العالم ٠

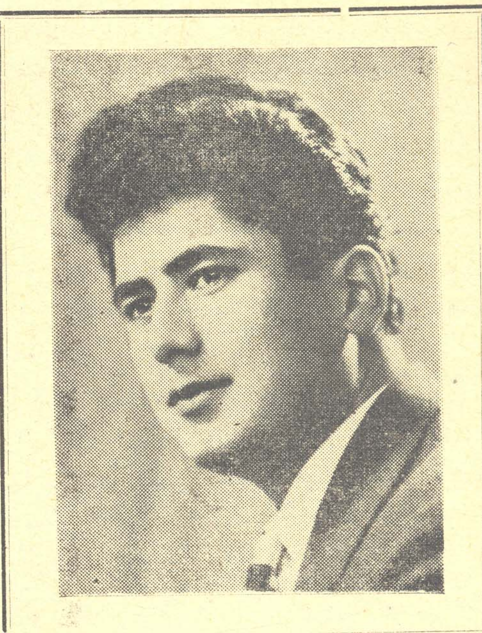
وهيب سمراي الدين





« الى عينين بعيدتين »

شعر : كمال أبو ديب



حكاية البحار يا صديقتي طويله ..
أتعبه الضياع في العيون ..
وهام في شواطىء الرياح والمنون ..
وتاه في مجاهل العواصف الرهيبه ..
يبحث عن عيون
عن طفلة يضمها .. يرجف في أحضانها ..
يبكي على الصدر الذي يضمه بعد الضنى ..
وبعد قسوة الضياع في المجاهل الغريبه ..
وغاب في ارتحاله .. ومرت السنون ..
كم مرة أغراه بالرسو في المرافىء الامان
شاطىء .. مهفهف الامواج
وفرت الفرحة من ضلوعه .. الى مدى عينيه .. في الاهداب ..
ورفت الرموش .. لا تصدق الرؤى ..
وغاب في أحلامه العذاب ..
وعندما كان الشراع حالما .. يكاد ينطوي ..
ويرتخي المجداف
كانت تثور في المرافىء الحبيبه ..
عواصف رهيبة .. رهيبه ..
تلفلف الشراع ..
و .. خائبا .. وضائعا .. محطم الاضلاع .. في عينيه منبعا دموع ..
وغصة في حلقه . حشرجة .. ورجفة في مقلتيه ..
في مجامر الدموع ..
وكل عرق .. في ضلوعه مرارة .. تنز رجفة .. وخوف ..
وخائبا تذبحه مرارة الرعاف ..
يحول المجداف ..
يعود من جديد ..
ليبدأ التطواف من جديد ..
في بدء رحلة جديدة .. الى مجاهل كئيبة .. بلا حدود ..

* * *

ولم يزل بحارنا الحزين ..
يبحث عن بحار ..
عن موسمي لآلىء .. وجدولي محار ..
يمرغ الجراح فيهما ..
ولم يزل تلفه عينان ..
يحلم فيهما ..
بالحب والحنان ..
لكنه .. تقذفه العينان يا صديقتي الى مدى عينين
يحلم فيهما ..
بالحب والحنان ..

ذيول لعهد الأثرياء

قصة بقلم : شوقي عرفات

كانت عزيزة تزورنا في فترات متباعدة فأجلس اليها أداعبها وأتحسس بيدي الصغيرتين شعرها الناعم ·· وكثيرا ما كنت أجذب أذنها لاهمس لها بكلام لا أتذكره ··

كانت لطيفة ·· وديعة ·· لا تؤذي أحدا ولا تحمل في قلبها حقدا أو ضغينة تواصل سعيها في سبيل لقمة العيش وكسرة الخبز واذا ما أمنت زاد يومها وامتلأبطنها نامت في أي مكان يصادفها فقد كانت لا تخشى شرور زيد من الناس ··

أتتني عزيزة ذات يوم وراحت تطوف حولي وتهز ذيلها في دلال فجذبتها من أذنيها المرتخيتين وأجلستها في حجري ورحت أداعبها وهي وادعة آمنة راضية عن ملاطفتي لها ··

لقد استهوتني عزيزة ذلك اليوم فرحت أتأملها وراعني أن وجدت في عينيها نظرة آملة سعيدة ·· وخيل الي أنها سابحة في شعور لذيذ حتى أنها كانت تبتسم بين الحين والآخر ·· وفجأة ·· وجدتها تنتفض ثم تخلص جسمها من بين يدي وتنظر الى كلب كبير كان يهز ذيله في حركات سريعة متتابعة وعندما ترك الكلب مكانه ودعتني بنظرة وخلفتني متابعة هذا الكلب الكبير ·· وتطلعت نحوها في بلاهة ·· وصممت أن أتبعها علني أدرك سر سعادتها ووجدتهما يسرعان متجهين صوب المزارع ثم يختفيان عن الانظار ·· وعدت الى بيتي وعقلي الصغير لا يدرك سر سعادتها اذ ذاك ولا يفهم لسرورها علة أو سببا ··

لم أكن أدري وقتها أن المسكينة قد وقعت فريسة الحب وانها تزوجت هذا الكلب الكبير وكونا عشا سعيدا حتى أنها لم تعد تظهر كسابق عهدها فقد كانت زوجة لحاكم مستبد راح يفرض عليها ارادته وتزمته فوضعها في عش الزوجية جليسة العرف والتقاليد ··

وكم بحثت عنها ·· وكم حرمت نفسي الكثير من طعامي وأدخرته لها آملا أن أراها ولكنها كانت عني

لكنه تقذفه العينان من جديد ··

الى مجاهل الضياع ·· والرياح ·· من جديد ··

وينهك التطواف أضلع المغامر الكئيب ··

يمزق الشراع ··

فينتهي ·· يموت ··

وينطفي في يمه مستسلما ·· بلا صراع ··

ويترك المجداف ·· يهجر الصراع ··

حتى ولو أغرته يا بريئة العينين مقلتان طفلتان ··

بريئتان في مداهما تموج رفة الحنان ··

وينتهي بحارنا الحزين ··

في قاع عينين ·· بلا ضوء ·· بلا حنين ··

★ ★ ★

صديقتي ·· طويلة ·· طويلة حكاية البحار ··

لكنه في قاعه الكئيب في مجاهل البحار ··

ما زال يسأل الرياح والحطام والسفين ··

يسألها عن ضوء مقلتين ·· حينما

كانت فقاقيع المياه فوق رأسه ·· تطفو على الزبد ··

كان على الشواطىء القريبه ··

يشرق ·· يغري أن يجاهد الشراع عله ··!!··

يسألها ·· لو أنه ··

قد جاهد الامواج والرياح والاثباج ··

تراه ·· يا ترى ··

تراه كان ·· كان ضمه ··؟!··

تراه يا صديقتي · تراه كان ··

أم تراه كان يقذف البحار من جديد ··؟!··

الى مجاهل الضياع والرياح والحطام من جديد ··

الى مجاهل العيون والعواصف الرعاد والانين ··

في رحلة ·· تعيد قصة ارتحاله الحزين ·· خلف وهمه الثمين··؟!··

دمشق ـ كمال ابو ديب

لاهية بحبها وحبيبها الذي غدر بها ليرتمي في أحضان أخرى ٠٠ عندئذ ظهرت عزيزة ٠٠ ورأيتها تأتي لمنزلنا ٠٠ لقد تغيرت كثيرا ٠٠ كبر بطنها وانتفخ وترهل جسمها ولم تعد في رشاقتها السابقة وخفة روحها ٠٠

كانت تحمل على رأسها المنخفض عبء حبها الضائع وغدر زوجها فأقبلت الي وفي عينيها دموع ٠٠ وفي صوتها ألم ٠٠ وأمسكتها من أذنيها فأحسست فيهما برودة لم أكن أدري سرها .

لقد اتهمتها بالجحود ونكران الجميل ورحت أسألها ايضاحا عن غيابها الطويل ولكن استكانتها وهذه الآلام التي تشع في نظراتها جعلتني أغفر لها وأجلس بجوارها أداعبها وألاطفها ثم أقدم لها ما اختزنته من عظام فاحت رائحتها من كثرة احتجازها ٠٠ وأخذت أضرب بيدي الصغيرتين على بطنها ولكنها تنكرت لدعابتي وقفزت تتفادى ضرباتي ٠٠ وعرفت فيما بعد أنها كانت تحافظ على ما في بطنها من أجنه ٠٠

ومرت الايام التالية حزينة واجمة ٠٠ فما كنت أراها الا لتختفي وان لقيتها فهي حزينة باكية ٠٠

وراحت بطنها تنتفخ حتى باتت ثقيلة لا تقدر على حملها ٠٠ ولم تعد تظهر الا في القليل النادر ٠٠ وذات يوم وجدتها في قطعة أرض مهجورة مسترخية ولسانها يتدلى من بين فكيها وقد راحت تئن في ألم وتعوي عواء خافتا وتنتفض انتفاضات غريبة وخيل الي أنني ألمح في عينيها رجاء فجريت نحو البيت أسأل أمي المساعدة ٠٠ ووصفت لها الحالة وكنت أرجو منها أن تصحبني لترى بنفسها الآلام التي تعانيها المسكينة فما كان من أمي الا أن نهرتني وتركتني في حيرتي ٠٠ واندفعت صوب حجرة الخزين وحملت كل شيء اعتقدت أنه يصلح غذاء لعزيزة ثم جريت نحو المكان الذي تركتها به ٠٠ ولدهشتي وجدت عزيزة نائمة في اعياء وحولها ثلاثة جراء لم تتفتح عيونها على نور الحياة ٠٠

وفتحت عزيزة عينها بعد جهد وتطلعت الي فرأتني أحمل أطفالها وأنا بالغ الفرح ففتحت فمها عن ابتسامة باهتة ثم طوت رأسها بين رجليها وراحت في نوم عميق ٠٠ ومرت أيامي وأنا أقضي وقتي بين هذه البراعم الاعبها وأتمتع معها بوقتي حتى أنها بدأت تألفني وتسر عندما تراني أقبل اليها فتلتف حولي والفرح يسيطر على مشاعرها وتظل تتمسح في وتتقافز حولي بينما عزيزة تعيش أغلب وقتها بعيدة عنا ترهق نفسها حتى يمتلىء بطنها فتعود لتجذب أبناءها حول بطنها فيرتشفون الحنان والحب لبنا ٠٠

وكبر الثلاثة وأصبح كل شغلي الشاغل توفير الغذاء لهما فقد أدركت أن الام ترهق نفسها في سبيل الحصول على طعامها ٠٠ وما أكثر ما تعرضت لتعنيف أمي وتوبيخ أبي لكن الحب الذي ربط بيني وبين هذه العائلة جعلني أتحمل الاهانات المتكررة من عائلتي ٠٠

وجاء يوم ٠٠ ودخل قريتنا رجل قد جاوز الاربعين ٠٠ كان يلبس لباسا أصفر باهت تزينه مجموعة من الازرار الصفراء تلمع في وهج الشمس له شارب طويل مفتول في عناية وعلى رأسه طربوش أحمر معروق متهدم ٠٠ قد حمل في يده حقيبة وفي الاخرى هراوة غليظة ٠٠ راح يدب على طرق القرية ومساربها في خطوات ثقيلة منتظمة وشلة من الاطفال قد ساروا خلفه وراحوا يتهامسون في ذعر مشوب بابتهاج « سماوي الكلاب ٠٠ سماوي الكلاب » وهو بين الحين والآخر يلتفت اليهم في غيظ . محنقا وينظر اليهم في رجاء فيختفون عند غضبه ويعودون عند سكونه وهو ماض يدور بعينيه في ارجاء القرية باحثا مستجديا ٠٠

ونظرت الى الركب والتفت الى أبي أسأله :

ـ من هذا يا أبي ؟

ـ انه سماوي الكلاب ٠٠

ـ وماذا يفعل في القرية ؟!

ـ يقتل الكلاب الضالة ٠٠

ولم أفهم معنى لكلمة « ضالة » فعدت أسأل :

ـ وما هي الكلاب الضالة يا أبي ؟

ـ الكلاب المسعورة

ولم أفهم هذه أيضا فسألت في حيرة :

ـ ما معنى مسعورة ؟!

ونظر أبي الي وقد غلبه الضيق ثم قال بحدة :

ـ الكلاب التي تأكل أمثالك ٠٠

وفزعت ٠٠ وتراجعت بعيدا عن أبي وفي هذه اللحظات ألحت على مخيلتي صورة عزيزة الوديعة الطيبة وأطفالها الابرياء ٠٠ فأبعدت عني هذا الخاطر وجريت الحق بالرجل أتسلى مستطلعا هذه الكلاب التي تحدث عنها أبي ٠٠ وعجبت اذ وجدت عزيزة تقابلنا وفي عينيها فزع ٠٠ وفي مظهرها شراسة ٠٠ تنظر الى الرجل نظرات كلها حقد وجنون ثم انقضت عليه وأمسكت بيده بين فكيها وراحت تمزق ملابسه ٠٠

وانتفضت مذعورا وصرخت مذهولا :

ـ عزيزة ٠٠ ماذا تفعلين ؟! ٠٠ هل جننت ؟!

وترددت في أذني كلمات أبي قاصفة مجلجلة فتخيلت بشاعة ما تفعل ٠٠ وافترستني مشاعر متباينة فوقفت

مكاني لا أقوى على الحركة بينما الاطفال قد هربوا أو تراجعوا والرجل يخلص يده من بين فكيها ثم يضربها بهراوته فتفلت منه ‥ وتشبثت بالرجل وأمسكت ذراعه فنفضني عنه لكني سألته باكيا :

– لماذا فعلت بك عزيزة هكذا ؟

وضاق الرجل بسؤالي ورأيته يتحسس جراح يده ثم ينظر الي وقد لمع في ذهنه سؤال :

– أتعرفها ؟

– نعم أعرفها ‥ هي صديقتي وهي طيبة ‥ لقد قضيت معها عمرا فما خدشتني قط ‥ لكنها تريد أن تأكلك ‥ لماذا ؟!‥ هل جنت ؟ هل هي مسعورة ؟!

وكأنما وجد الرجل الجواب في سؤالي فالتمعت عيناه واقترب مني سائلا :

– هل تعرف مكانها ؟

– نعم أعرفه .

وابتسم الرجل ولون ابتسامته بالطيبة ثم مال علي:

– أتريد أن تشفيها ؟

– نعم ‥ ليتك تستطيع ذلك .

– اذن فاحمل لها هذا الدواء .

– لماذا لا تحمله أنت ‥ ربما أكلتني ما دامت قد أصبحت مجنونة ‥

وضحك الرجل ثم ربت على كتفي في خبث وقال :

– لا تخف فهي صديقتك ‥ ان كنت رأيتها تهجم على ذلك لانها لا تعرفني فأنا غريب على القرية ‥

وترددت قليلا لكن حبي لعزيزة جعلني أمد يدي وأتناول الدواء ‥ وتوجهت وقلبي يتملكه ذعر الى حيث أجد عزيزة ‥ وهناك وجدتها نائمة وقد فتحت عينيها وراحت تنظر الي نظرات ساهمة ‥ وتراجعت ثم أقدمت وأخذت أدور ببصري فيما حولي فلم أجد أبناءها ولم أعر الامر التفاتا فكثيرا ما كانوا يغيبون في جوانب المكان المهجور واقتربت من عزيزة ولم تتحرك وطمأنني هدوءها فجلست بجوارها وأخذت أربت على ظهرها وأمسح رأسها بكفي الصغير ثم ألقيت اليها بالدواء فأهملته ‥ وأخذت أقربه من فمها فلم تفتح فكيها مطلقا ‥ ومددت يدي بين فكيها أحاول أن أدس لها الدواء ‥

وبعد الحاح التهمت المسكينة الدواء ‥

وزاغت عيناها ‥ ثم تقطعت أنفاسها وتهدج صوتها وقفزت من مكانها ثم تعثرت فارتمت على الارض وأخذت تئن أنينا أفزعني ‥

ونهضت وقد تولاني رعب واذ بي أجدني وجها لوجه أمام الرجل الطويل ونظرت اليه فوجدت في عينيه بريق عجيب هو مزيج من الشر والحقد ثم جذبني ودفعني بعيدا عنها وهوى فوق رأسها بهراوته ‥

وصرخت فقد انتفضت المسكينة انتفاضة الموت واقتربت منها فاذا هي تحاول جاهدة أن تراني ودموع تترقرق في مقلتيها وعندما أصبحت قريبا جدا سمعت صوتها يخرج واهنا ميتا وكأنها تلومني قائلة « خدعوك أيها الغر » وتركتها واندفعت صوب الرجل ورحت أصرخ كالمجنون وأبكي بكاء مرا لكن صوت الرجل وهو يضحك كان يطغى على صراخي فحاولت أن أترك المكان لكني رأيته ينحني عليها ثم يهزها ويخرج سكينا ثم يقطع ذيلها ‥

وفتح الرجل حقيبته وأمسك الذيل ثم ألقى به وسط ثلاثة آخرين عرفتهم على الفور ‥. فقد كانت ذيول الابناء ‥

شوقي عرفات

لا تسألي

شعر : أحمد علي حسن

لا تسألي ما لي وما للهوى / أنا الذي أودى به حبه
ما زال يدعوه ـ وويل له / ان لم يجب مستسلما ـ قلبه
أطللت فيه كفتون الضحى / تنشق عنه في الدجى حجبه
وهكذا بين الهوى والمنى / قد سار مشدوه الحجى ركبه
هذا الذي حطمت أحلامه / لا تسأليه بعد ما خطبه
ان كان هذا الحب ذنبا له / لا مر في غفرانه ، ذنبه
لولا الهوى ما كان قلب الفتى / ولا تغنى بالهوى سربه
الطفل لا يهرب من عبثه / ويبعث الزهو به لعبه
والحب ، لا يطرح أثقاله / ولا شكى من عبئه صبه
وافقه ، يا حالم بالرؤى / لم تأتلق الا به شهبه
للشاعر الحالم أنواره / وللذي يشكو الظما سحبه
وكأسه الصفو ، وان مسه / منه الضنى يوما ، حلا شربه
ما أعذب الحب وأحواله / ان الذي عذبنا عذبه
عتبت قلبي ، ثم عنفته / وردني مستعتبا عتبه
قلبان مرا فوق درب الهوى / وللهوى يا صاحبي دربه
تفرقا ، هذا له شرقه / وذا له فيما يرى غربه
يا قلبها الريان ، كيف الهوى / أيشتكي هذا النوى قلبه
ان الهوى أشقاكما سهله / فكيف لا يشقيكما صعبه
ويا حبيبا مضني بعده / وهز أحلام الصبا قربه
غربت نفسي عنده بالهوى / فكيف لم يرأف بها ربه
لا تسألي ما لي وما للهوى / أنا الذي أودى به حبه
كفاية للقلب احساسه / وحسبه هذا الضنى حسبه

احمد علي حسن

يا إله الجديد

شعر ..

خليل خوري



ذلك الآتي على أجنحة
بيضاء من فجر البداءه
غير موصوم بعار
غير مهزوز البراءه
ذلك المعمود في لفح المجامر
لم تبشرنا به رؤيا نبي سابق
أو سحر ساحر ،
أنت لن تلقى على جبهته
الزهراء ، ظلا لمهانه ،
أنت لن تبصر في عينيه
آثار خيانه ،
فهو لم يعبر بلاطا لامير
لم يمرغ صفوه
بين غوايات الحرير

* * *

ذلك الكاسي نقاء وبراءه
وافدا ، عريان من فجر البداءه
نحن من ولولة الاعصار
لملمنا رداءه ،
من عزيف الريح ، من
وهج الشموس الحمر طرزنا رداءه ،
ثم عمدناه في هيكل آلام الخليقه
وجعلناه منارات
على درب الحقيقه
ووهبناه الى كل العيون الظامئات
والى كل العذابات ،
الى جهش النفوس اليائسات
عله يغسلها ،
يمنحها في ليلها الداجي الحياة
ما أردناه لكرسي ، لمجد زائل ،
لا . ما أردناه تغنيه القيان الهيف
في قصر الامير
ما أردناه غوايات تلوى
في أراجيح الحرير .

* * *

أنا ما حطمت « لاتي » ما كرهته
بيد أني قد سئمته ،
أو فقل اني ، قل اني عاينت صفائي
يوم طلقت غباءه ،
وكشفت الزيف ، عن وجه سمائي ،
يوم مزقت سماءه
كان في ظني اله
ليس تغويه الاضاحي
لم يلده الجهل ،
لم يرقص على نزف الجراح
ولدن أطلقت في الجو جناحي
ووجدته ،
بدما قلبي عشقته ،
وحضنته
وبما في الصدر من وجد عبدته
كان في عينيه كون من براءه

ج . ب . بريسلي

بقلم : محمد سعيد الكيلاني

قد يكون السؤال التالي ملهاة أدبية ممتعة : (يمكننا اعتبار أي قصاص من النصف الاول للقرن العشرين ، ممثلا لهذه الحقبة من التاريخ ، التي شهدت الحروب والثورات والانقلابات الاجتماعية على نطاق لم يسبق له مثيل في تاريخ البشر) .

يهتم القصاص بتغيرات الشروط الاجتماعية ، وتأثيرها على الرجال والنساء .

ولكن قصاصي هذا القرن ، حصروا اهتمامهم غالبا بطبقات معينة هي أوساط المجتمع العليا سواء في الريف أو المدينة .

وقلة هم الذين حاولوا التعبير عن الحياة الرتيبة لرجل المدينة العادي ، وعن شكوكه ومخاوفه وأفراحه . وهو من يعرف عوامل اضطراب العالم ، ويبقى رأسه مع ذلك (ينزف ولكن لا ينحني) . وهذا الرجل لا نجده في صفحات (فورسايت ساغا) في قصص (ويسكس) لهاردي . كما لا نجده في (الجزر المدارية) لكونراد . وتبقى ذهنيات (هكسلي) واستطلاعات (لورنس) العاطفية المندفعة في عالم الجنس ، بعيدة عنه بقدر بعد ويلز عنه في (ماريتان وسكان القمر) .

أما في (مستر بولي) و (كيبس) فاننا نشاهد المحاولة الاولى لمعالجة الموضوع بصورة مرضية في شخص (جون سيتيزن) . وكانت كلتا المحاولتين رائعة ، ولكن ويلز يفضل استكشاف حقول أخرى .

أما (ارنولد بينت) فكان أكثر اهتماما بالافراد الشاذين وغير الطبيعيين . وكان يدفن شخصياته العادية من الرجال والنساء ، في كومة من المواضيع المادية والفنادق والاثاث والتحف ، وكتل كبيرة من الزمن .

ويبقى كاتب واحد ممن اذا تسامحنا بخصوصيات خياله ، يصور بحيوية وواقعية أهل بلاده العاديين من العمال وموظفي المكاتب ، وفتيات المخازن وضاربي الآلة الكاتبة وسكان لندن ، والمناطق الصناعية . هذا الذي يمكن أن نعتبره بحق المؤرخ للفرد العادي في القرن العشرين هو : (جون بونيتون بريسلي) .



هو أصغر القصاصين المشهورين اليوم . ولد عام ١٨٩٤ في مدينة (برادفورد) من مقاطعة يوركشاير . وكان أبوه مدرسا . وهناك بدأ يتعرف – في سني حياته الاولى – على سكان الشمال الصناعي ، والظروف القاسية التي كانوا يعيشون فيها . ثم نمت ملكة نقده القوية المباشرة بعد تخرجه من جامعة كامبريدج . ولكنه بقي فترة بعد تخرجه متأثرا بسحر الجو الجامعي .

فكان انتاجه خلال الفترة الواقعة بين سنة ١٩٢١ و سنة ١٩٢٩ مجموعة من المقالات والنقد الادبي ، وقصتين خياليتين ممتعتين . وفي ١٩٢٩ طلع على الجمهور بسرعة أكبر بقصة (الرفاق الصالحين) . فاجتذبت انتباها غير عادي من مختلف الجوانب . وأصبحت – بسرعة – أوسع الكتب انتشارا .

ثم ظهرت له عدة قصص طويلة قوية ، حتى بدأ في عام ١٩٣٢ حياته ككاتب مسرحي في مسرحيته الشعبية

(الزاوية الخطرة) ، التي كانت أولى خمس عشرة تمثيلية وضعت مؤلفها في مكان مرموق بين كتاب المسرح المشهورين في يومنا هذا ٠

وفي خلال الحرب العالمية الثانية ، حاز على نجاح ملحوظ كصحفي ومذيع ٠ وكان انتقاده لضعفنا الوطني ينبثق من وطنيته العميقة ٠ فازداد عدد المعجبين به كما ازداد ناقدوه ٠

فبعضهم يأخذ عليه صراحة أهل الشمال الزائدة ٠ وبعضهم يذهب الى انكار شخصية الفنان فيه ٠ وما دام بريسلي في شرخ شبابه ، اذا قورن بغيره ، فيجب أن نطمئن الى حكم وقتي على وضعه كقصاص وكاتب مسرحي ٠

كان في انتاج بريسلي قبل ظهور (الرفاق الصالحين) رغبة قليلة الوضوح ، تنم عن اتجاهه الى التعبير عن حياة الطبقة العادية من الناس ٠ أما دراساته للشخصيات الكوميدية الانكليزية (السيد توم) (السيد هنري بلغ) (السيد ليكوبر) وغيرها ٠٠ فكانت مكتوبة بتفهم أدبي على شكل مقالات ٠

أما في (ميرديث) و (الطاووس) اللتين نشرهما في كتب (سلسلة الكتاب الانكليز) فهي كما يبدو دراسات نقدية ، ومقالات في مواضيع مختلفة ، اختلاف الشخصية الانكليزية ، يقدمها بأسلوب بالغ الروعة والسحر ٠

أما قصتاه اللتان ظهرتا قبل عام ١٩٢٩ فكانتا تتساويان في عدم افتقارهما الى أية اشارة للمقبل من كتابات المؤلف ٠ احداهما وهي (آدم في ضوء القمر) ، ليست عن ستيوارت ـ بطل القصة ـ بقدر ما هي عن بريسلي نفسه في ضوء القمر ٠ وهي مرحة وخيالية وملأى بأفكار الشباب العابرة ٠ وثانيتهما : (السائر في الظلام) نذكرها لتصويرها بيئة فوق الطبيعة ، لان ذلك كل شيء فيها ٠ ثم ظهرت (الرفاق الصالحين) عام ١٩٢٩ فألمح اليها برسلي على أنها (حكاية وطنية كوميدية « تتناول أمورا داخل الوطن وليست خارجه ٠ أو عن أناس غرباء » خيالية وعلى شكل قصة طويلة عن المتشردين) ٠

تدور حوادثها عن (جيس اوكرويد) ٠ وهو نجار يعمل في الريف الشمالي ٠ وجد أن البطالة والشقاء العائلي أكثر مما يطيق ، فغادر منزله باحثا عن المغامرة وعن (مس ترانت) التي اعتنت بأبيها المريض خمس عشرة سنة ٠ فتبيع (البيت القديم) وتخرج لترى ما تقدمه لها الحياة ٠

و (أينيجو جو لليفنت) يحمل شهادة الدراسة الثانوية من مدرسة (ويشبوري مانور) ، ثم يدمن الشراب ويغادرها نهائيا ٠ والتقت طرقهم ومكان اللقاء في فرقة (دينكي دوز) الموسيقية ٠ وتصبح (مس ترانت) بمثابة أمهم ٠ أما (اينيجو) فهو عازف موهوب على البيانو كما هو مؤلف أيضا ٠ أما (جس اوكرويد) فيصبح رجل العمل كله ٠ ثم تخرج الفرقة في طريقها ٠ فنسمع عن فشل أصحابها ونجاحهم ٠ حتى ينتهي كل شيء بخاتمة سعيدة لكل منهم ٠

والقصة كتاب يختفي فيه ـ لسبب ما ـ عنصر الخيال الذي يسميه بريسلي قصة جنيه ٠ ولكن نجاح الكتاب العظيم ليس نتيجة لذلك ـ وانما يرجع الى تصوير المؤلف الواضح للناس العاديين والجماعات البسيطة ، من (جس) الذي يسهل التعرف عليه ٠

كما يعود هذا السبب الى الشعور أن بين أيدينا كتابا واسع الانتشار ٠ غنيا ، مليئا بالكوميديا الجيدة ، على الطراز القديم ل (ديكنز) سمولت (ديغو) ٠ أما (شارع الملاك) ١٩٣٠ فتنقصها قوة مسرح (الرفاق الصالحين) ٠ ولكنها قصة جيدة الوصف للطبقة العادية في لندن ٠

وشخصياتها رجال الاعمال ، وزوجاتهم ، وصرافوهم وكتابهم ، وضاربو الآلة الكاتبة ، وخدم المكاتب ٠ هؤلاء لا يخرجون للتفتيش عن المغامرة لانها تأتيهم في شخص السيد (غلوسبي) الغامض وابنته (لينا) ٠

كانت هناك صدمات سابقة في حياة كل من مستر سميث والسيد دريننكهام ، الموظف العاشق ٠ كان أصغر الاخوة كوركيس في مدرسة عامة ٠ ومس ماتفيلد ضاربة الآلة الكاتبة كريح خطرة عالية ٠ وعندما يختفي مستر غلوسبي تبدأ المهمة الطويلة الشاقة في بناء أنفسهم من جديد ٠

ليس لنا اقتراح في هذه القصة على نظرات السيد بريلي ، لانها دراسة موضوعية للخطيئة الانسانية مهما كانت ٠ غير أنها مكتوبة بفعالية وبراعة بالغة ٠ فنحن نرى (شارع الملاك) ، وهو الشارع الجانبي الصغير في مدينة لندن ، بمكاتبه وناسه الذين يعملون فيه ، بصورة صادقة لا تنسى ٠

وقد وجد بعض النقاد ، ممن أرادوا عودة (الرفاق الصالحين) بل أرادوا العودة الى (آدم في ضوء القمر) ٠ فكتب بريسلي ـ ربما لارضائهم ـ (بعيدا) و (بطل العجب) ٠ وهما تكشفان عن نفس الموهبة القوية في تصوير الشخصيات ، ولكنهما لا تقارنان بسابقتيهما العظيمتين ٠ وهما تعالجان أناسا غير عاديين في مجتمعات راقية غير مألوفة ٠

أما النقاد الآخرون ممن أرادوا قصة جدية ذات رسالة ، فكوفئوا بقصة (يمشون في المدينة) ، التي كتبت بالنفسية الغاضبة التي عاد بها السيد بريسلي من رحلته حول انكلترا ٠ هي قصة (روزا سالستر) و (ادوار فيلدينغ) ٠

شابان وقعا في حبائل الشروط الصناعية الحديثة ٠

وتتحدث القصة عن هربهما الى لندن ومتاعبهما في (الغابة الحجرية) .

فاذا أهملنا نهايتها العاطفية نراها تشبه (شارع الملال) . غير أنها أكثر وضوحا في انتقادها للحالات التي يجب أن يعيشها الشباب . كما أنها غنية بالشخصيات القليلة الاهمية . ومنها تصوير أمين ل (هاليفورد) ، المدينة الريفية الشمالية ، ومدينة لندن العظيمة .

ومنذ ذلك التاريخ ، قدم عدة قصص بنفس الاسلوب . كان مادتها الناس العاديون . في انكلترا ، والمعارك التي كان عليهم أن يخوضوها .

فنشر (دع الناس يغنون) و (صباح السبت) . وآخر قصصه (ثلاثة رجال في بدلات جديدة) .

ونذكر بالمناسبة ، أنه احتقر وجهة نظره الانتقادية الى المجتمع . وكتب قصصا مثيرة عن المجرمين والمجانين والجواسيس مثل (ظلام في غرتلي) و (رجال القيامة) .
هذا الغرام (بمركبات) المثير المتوسط ، لا يغيب بتاتا من انتاج بريسلي كقاص . كما توجد لمسات منه في معظم قصصه الممتازة . ف (كيرازوفين) الشرير في (بعيدا) ، والنهاية التي كاد ان يبالغ فيها (يمشون بالطريق) هي من هذا القبيل . أما العاطفة فهي مفقودة على كل حال في شق من انتاجه ، اخذه على محمل الجد ، أكثر مما أخذ مهنته كقاص .

ولقد زاول عمله ككاتب مسرحي ، فبدأ بانتاج (الزاوية الخضرة) ١٩٣٢ . وتدور حوادثها حول أربع نسوة يصغين الى تمثيلية اذاعية تنتهي بطلقة مسدس . وتبدأ المحادثة التي تلتها باظهار حقائق معينة عن المستمعات وأزواجهن وأصدقائهن . وتتبع الفضيحة الاخرى حتى تبلغ تمثيليتهن الحقيقية ذروتها باندفاع زوج احداهن الى الخارج ليطلق النار على نفسه . فتسمع طلقة مسدس ثم يظلم المسرح .

وعندما تضاء الانوار من جديد ، تعود النسوة الاربع يصغين الى الراديو . ولكن المحادثة الخطرة تجتنب الآن ، وتستمر الحياة في مجراها الطبيعي بالاقناع . هذه الصيغة من اظهار التباين بين المظهر والحقيقة ، فعالة من وجهة النظر المسرحية .

فالتوتر الذهني مرتفع الى حد ما في هذه المسرحية . كما يوجد شيء من الآلية عند اظهار الايحاءات المختلفة للحقيقة البشعة .

وبصرف النظر عن مواطن الضعف هذه ، يضيق مجال النقد في هذه التمثيلية التي تبدي موهبة ملحوظة في الفن المسرحي والحوار الحي المختصر . نفس هذه المذاهب تتكشف في تمثيلياته الاخرى : (في غابة لانبرن) التي تخرج المسرحية الى الضواحي . وفي تمثيليته المحبوبة (نهاية الجنة) وفي (كورنيكوس) دراسة لرجل الاعمال .

أما في مسرحياته الاخرى ، وتمثيلياته الخيالية (جونسون في الاردن) فقد أعطى تعبيرا ـ تمثيليا ـ لافكاره عن الزمن ، وعن الافكار التي رسمها من قراءته (تجربة مع الزمن) لمؤلفها : ل . ج دون . و (نموذج جديد للكون) لمؤلفها أو سنبسكي .

وكلا هاتين التمثيليتين حاولت التخلص من قاعدة مشاهد الزمن ، وان تقدم وجود مسرحي حقيقي لكلا الزمنين المستقبل والماضي معا ، وامكانيات فكرة كهذه ، من وجهة نظر تصوير الشخصيات وحدها ، لا تنتهي .

و (جونسون في الاردن) ليست أكثر من معانيه لحقل فسيح وتجربة قيمة نفذت بصورة حسنة . وكذلك كافة تمثيلياته الاخرى ، تجعلنا نعتبر بريسلي بحق أحد كبار كتاب المسرح في القرن العشرين . وبالاضافة الى مقالاته الاولى ، ودراساته النقدية ، كتب بريسلي ثلاثة كتب أخرى لها أهميتها . أثنان منهما (منتصف الليل في الصحراء) و (مطر على هضبة الآلهة) يترجمان حياته ويهتمان بصورة رئيسية بنمو أفكاره وتطورها ، مع آلام الابداع الفني ، مع ذكرياته عند زياراته السعيدة للولايات المتحدة . كلاهما ممتع ، وكلاهما ليس ذا قيمة لفهم انتاج بريسلي .

أما الكتاب الثالث فهو تقرير تذكاري عن رحلته حول انكلترا ١٩٣٣ ويسمى (رحلة انكليزية) . وهو فضيحة كبرى عن الاسرار الخاصة للثورة الصناعية ، والشرور التي أتت في ركابها .

تبدأ دراسة انكلترا من (ساوتامبتن) . ثم يبدأ بريسلي يشعر بالتدريج بتصرف الفرد بقوانين العمل ، والشروط السيئة التي يرزح تحت وطأتها هؤلاء الافراد الاذلاء في لانكشاير ، ودورهام ، ومعظم مناطق الشمال الصناعية من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٩ . وهو كتاب سجل بقوة ووضوح . فيجب ألا يوضع جانبا دون اهتمام . لانه مستند اجتماعي ذو قيمة هامة . في (منتصف الليل بالصحراء) يشير بريسلي الى [(خدعته) المهنية ، والتي هي سهلة تقريبا وذات عرض جميل .]
وهذه كلمة غير صحيحة .

فهو على الرغم من أنه يكتب بسهولة ويسر ، يزن كلماته بميزان الجمال والحيوية .

أما ميله نحو استعمال الكلمات الكثيرة ، وتظاهره بالحساسية الملحوظة في كتاباته الاولى ، فيختفي تدريجيا . ولكنه لم يفقد أبدا تلك البساطة العميقة والموهبة القوية عند اختبار الكلمة ، الشيء الذي جعل (الرفاق الصالحين) حدثا في عالم التأليف القصصي . وبريسلي كاتب مغامر مشهور . سبق تقدير خدماته للادب الانكليزي في القرن العشرين . وسينتج اخلاصه وسعة تفكيره ونشاطه ، نتاجا يضعه بين أشهر قصاصي العصر الحاضر .

حماه **محمد سعيد الكيلاني**

رسائل حب صغيرة

بقلم : عبد الكريم الصباغ

بلودان ١٧ شباط ٩٥٤

من أوراقي

عزيزتي ..

تناثر حبنا بسرعة .. كالثلج الذي أراه الآن من نافذتي .. وتصاعدت الآهات مني .. تئن في كهوف ذكريات دامعة .. عشنا بها معا .. وحاك الناس من قصة حبنا أغنية ونكتة واسطورة ..

يا للخيبة ..

أضاعوا حبنا في مجة لغوهم الفارغ ، وغمروا قلبينا بالحقد والكراهية وملأت واياك الاثير بعطر البنفسج وقطر الجلنار ..

مزق الحقد أوراق الصفاء ، وماتت الرغبة فينا ..

مللا من الناس ..

ذبحني الالم – يا زاهدة – وآلمني أن أركع في محراب غرورك وعنادك ..

وابتعدت ..

لكأنك الآن في حلمي كالرماد ، يضحك من حرارة واهية .. وحبك في صدري – اخاله – قد استحال الى شلالات من الالم ، يتوزع بين الضلوع ..

وبعد ..

قد مات الحب .. واندثر الحلم ، وبقي

العاذلون ..

وأنا ، وأنت ..

بيروت ٣١ مايس ١٩٥٤

منذ عام غنى الهزار ذات ليلة من ليالي تموز اللاهبة ، وصفق العندليب في حديقة بيتنا ..

وتنادت جموع آلهة الحب .. الى حفل بهيج ..

وسر قلبي ..

كانت روحي – يومها – قد استقرت بعد طواف طويل ، وانتشت بمسرة اللقاء ، بعد بحث وفراق طويل ..

ومرت أيام وليال .. وسار الزورق بنا الى شاطىء بعيد .. لم يصله أحد قط ..

شعرت عندها أن الوجود كله بيدي .. كالدرهم .. كأي شيء صغير ..

وتمنيت لو أن العمر كله حب .. والعالم ينعم بالسلام ..

وتبقى لي يا حبيبتي ..
ذاك الربيع الحلو مشبع بحلاوة من حبيبتي ..
وتلك الازهار والورود معطرة من أنفاس حبيبتي ..

●

القاهرة ١٥ تموز ١٩٥٥

ثمة أشياء كثيرة يحيكها قلبي .. وجراح فوق جراح ترهقني .. وددت يوما لو أن قلبي يخرج للنور .. ليحكي لك من قرب ما يهمس به من بعيد ..

كنت أحب أن يخجل العاذلون من الحقيقة ، ويصمتوا برهة .. وأمشي في الطريق بدون شوك ..

الليل الطويل في هذه المدينة التي لا تنام ، يعيد الي ذكريات صيف لاهب ..

أحاسيسي الحيرى لا تريد السكون .. ونفسي التواقة تهفو الى الحبيب البعيد ..

هناك في بلدتي .. في الشمال من بلادي ..
المكان ساحر جميل .. يطل عليه هرم شامخ ..

والكأس ملأى بخمر لذيذ .. وأمامي شراب كثير ..
وفي جيبي صورة فتاة ..

لا زلت أذكر ونحن بين المروج نهتدي بضوء العيون ،

ويلفنا الصمت ، ويحوطنا الخوف الجميل ..
ونفترق دون أي شيء ..

قلبي هذا الذي يخفق مذ ولدت لن يستكين قبل أن ينعم بدفء صدرك .. و ..

عيناي ضمتاك كثيرا ، ويداي عانقتا كفيك في لهفة وشوق أكثر من مرة ..

هل تذكرين ..؟

ان كل ما بي يحكي اليك أحاديث نفسي في ألوانها .. غير انك ـ يبدو ـ لا تسمعين ..

الاسكندرية ٢٩ تموز ١٩٥٥

أنا هنا في عروس البحر المتوسط .. منذ أيام .. وفي كل يوم مذ ولجت هذه الشواطىء الساحرة ، تذوب مني قطرات من الشوق اليك .. لا تلبث أن تستقر حروفا لاهبة .. أخطها اليك ..

وتندفع من قلبي الآهات .. والقلب ـ يا غالية ـ يغلي من البعاد ..

مذ كنت صغيرا .. مذ كنت أحبو في دارنا كان قلبي تنسجه نظراتك الي ..

وانت ـ بعد ـ صغيرة لا تعرفين للهوى معنى ..
وكان حبنا ينمو مع العمر ، ويترسب في قاع الزمن ..

وكانت العيون حولنا كثيرة ، تعبث سهامها بأحلى لحظات قربنا ولقائنا ..

ومرت الايام بدون غاية .. وافترقنا ..
وحسبت ـ أنت ـ ان البعاد يقصيني عنك .. وان الايام ستبعثر حبي لا محالة ..

وأصبح الماضي في نظرك ليس أكثر من لحظات بريئة .. وفارغة ..

وأنت في سرك وصمتك تعلمين أن صورتي في قلبك أضحت كالتمثال المثبت ..

لا تنزعها الظنون .. ولا الافكار ..

●

ضاعت مني أشياء كثيرة في حياتي .. فما زلت أتعثر في تعليمي العالي ..

وفقدت أبي .. ولا أعرف وجه أمي ..
ومات أخي في حرب فلسطين ..

وخدعني أصدقاء كثيرون .. وكذبت في حبي كثيرات .. صرت أتسلى بالاعيب الجراح فوق الجراح ، والعق من مر الحاضر وأتلمس الى بصيص المستقبل .. بخيط من الماضي البعيد ..

أجل ضاعت مني أشياء كثيرة ومحال أن أدعك لغيري ..

يبرود ٢١ آب ١٩٥٧

الايام تذوب بسرعة .. والساعات تتوارى « لم يعد لها حساب » ويتقلص العمر .. والقلب لا بد أن يكتهل بدونك ..

بودي لو أن النسمات تحملني اليك ، وتلتقي العيون حقيقة ..

فقد دفعنا ثمن الفراق ونحن لا نستطيع أن ندفع .. دموعا ، وآلاما ، ويذهب شبابنا ..

ويذبل الحب ..

وتضحك صبية سمراء رفضتها مرارا .. وتبكي أخرى من بعيد .. آثرت أن تعيش بعيدا في قرية في حضن جبل أشم ..

بين أطفال كثيرين ..

أحببتها ، ورضيت بي ..
لكأن الايام لا تعطيني الا لتأخذ مني ..

أجل ..!

أخذت مني الكثير .. وفي صدري آلام لا نهاية لها ولا حدود ..

وأنا فقير .. وعيناك لا تحملان الا الدموع .. في قلبي أشياء كثيرة ، أود أن أحكيها ولكني أجد أنها تختنق في فمي ..

وتموت الفكرة .. وينتحر جزء من الماضي ..
وتبقى بقايا حب .. وكلمات في دفتر قديم .. ما زلت أحتفظ به ..

الكويت ١٦ ايلول ١٩٥٨

مدينتي ـ هذه ـ تأكل من شبابي .. حرها يذيب أزهار قلبي ..

لم أعد أشعر بلوعة الجفاء .. ولا بطعم حب فتاة دون العشرين ..

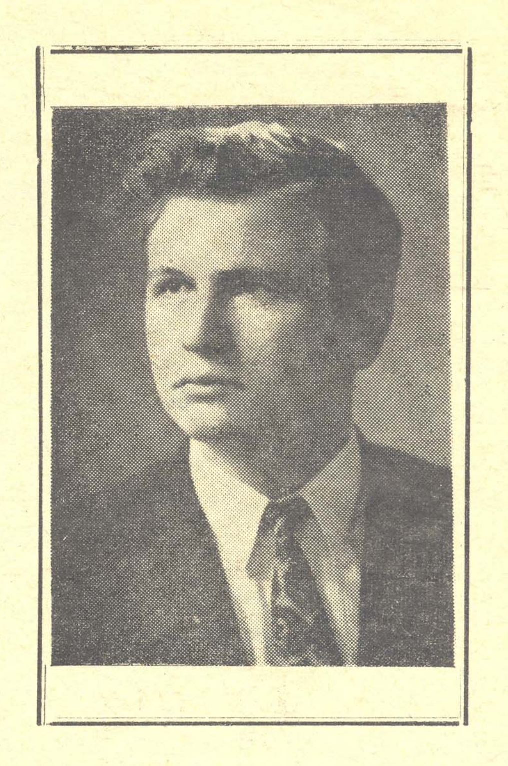
كنت الى حين ، أشعر بخيوط خفية شديدة ،



تهرّب

شعر ...

موريس قبق



تتأبين ·· والشموع صبابات ، وحسي بومضها يتدفا
وارتعاشي يصب شلال ظل في عرى الصدر بينما النهد يخفى
فرخ برج ربيته ناقرا حبي ، فلما توهم النضج رفا
واحتمى عريه بثوب لصيق ، يا بعيني نسيجه ان يشفا !
لا تكوني بخيلة يقطر الشريان وهجا ، ويرصد القلب مرفا
وتلوي الهة تنهك الصنج ، وتأبى عبادها أن تكفا
واستجيبي نسرينة تعشق الامطار زخا ، وهبة الريح عصفا
منتهى الوجدان تهلي عطيات ، فيغدو تصور الحب أصفى
لم تلوحين لي ، وتنأين عجلى ، وانتظاري الوحشي بي يتشفى ؟
أأنا شهقة المواسم أم أنت اذا نسغنا الربيعي جفا ؟
كيف ترضين بالفواصل جذلى ، مشتهى الحرف أن يعانق حرفا؟
لا تخالي درب المحبة صعبا ، جربي خطوة فتمشين ألفا .

موريس قبق

* * * *

تشدني الى بلدة صغيرة ، ترقد في حضن جبل من جبال بلادي ··

كنت أحس أن رباطا سحريا يصلني بذكريات سنوات ثلاث ·· مرت عبر الدراسة ، ولا أستطيع بحال أن أنساها ··

كنت قبل أن آتي الى هذا المكان ، كتلة من آهات ودموع ، وحنان ، وحب ، ·

الشارع الطويل المؤدي الى جبل بظاهر دمشق ، أخاله اليوم يعتب علي ·· فقد هجرته على غير موعد ··
سافرت ـ انا ـ الى هذا المكان ·· وسافرت حبيبتي الى أطفالها الكثيرين ··
وكان فراقا على أقسى ما يكون الفراق ··

●

اليوم تبدل كل شيء في حياتي ··

مدينتي ـ هذه ـ يعانقها البحر من أكثر جهاتها ·· وتنام في الثامنة من كل مساء ··

طمرت في رمالها ذكرياتي ·· وزهدت في الشهرة ، وفي الحب ، والانطلاق ··

ولا أدري لماذا ··
شيء واحد ، سأظل أعيش من أجله ·· أتيه في حبه ·
لا تعجبوا ··
انه ولدي الصغير الذي يحمل بحروف اسمه قطعة من ذكريات ، عزيزة علي ·· وغالية ··

الكويت — عبد الكريم الصباغ

أسباب الثأر ودوافعه وطرق مكافحته

بقلم : باهر مدحت

بالامس القريب طالعنا الدكتور عبد الكريم اليافي بحديث قيم له في مجلة الثقافة حول مشكلة الثأر في صعيد الاقليم الجنوبي فشكرناه من صميم قلبنا ودعونا له بالتوفيق حيث أنه قد فتح لنا في هذا الموضوع الذي طالما التبس على الكثيرين منا ولكن نؤاخذ الدكتور اليافي من نقطة تكاد تكون عديمة الاثر لولا أنها في نظرنا في غاية القيمة ، فحينما تصفحنا الموضوع وجدنا أن الاسلوب الذي كتب به محاضرته يكاد يكون فوق مستوى ذوي الثقافة العالية لذلك لا نستطيع ونحن من ذوي الثقافة المحدودة أن نتمكن من هذا الموضوع لذلك قررت وقد نشأت في قلب هذا الصعيد النابض بالحياة الداعي للتخلص من الآثام والشرور وحينما أبدأ بحثي هذا أتعمق بعض الشيء في أصل هذا الموضوع وبذوره التي غرسها المستعمر فينا ، المستعمر والغاصب المحتل دعامته في كل بلد يغتصبه من أهله ، وأظنك الآن قد عرفت ما هي هذه البذور : الفقر والجهل والمرض .

ولأبدأ بحثي هذا **بالفقر** :

الفقر هو العامود الفقري في بحثنا هذا فحينما يكون الانسان فقيرا وفي حالة يرثى لها من الفقر بل ومن الجوع وقلة موارده التي يكتسب منها قوته يضطر مجبرا أن يعمل الكثير للحصول على لقمة العيش لذلك يضطر أن يبدأ بالسرقة فاذا ما نجح في أول مرة كررها ومن سرق البيضة يسرق الجمل ويتطور من لص محترف الى قاطع للطريق فيهب الجميع لرد خطره عنهم فيقتله أحدهم وهذا يعتبر عمل مشين في نظر عائلة قاطع الطريق هذا وتعتبره من الاجرام وتتطور الجريمة من بذرة فنبات فثمرة وثمرة هذه الاحداث كما هو واضح قتل ويليه قتل ولا يسعنا نحن يا من نحكم بالظاهر الا أن نسمي هذا ثأرا فلنتخيل أن هذا اللص الذي قتل وقتل لم يكن فقيرا أو بمعنى أصح لم يكن عاطلا فمن أين له هذا الذي قد حدث ؟ فلو قضينا على الفقر والعطالة نكون قد قضينا على بذرة من هذه البذور السيئة هذه البذور التي قاسينا وما زلنا نقاسي منها ونتتبع مرحلة أخرى من مراحل الفقر فلو أني كنت فقيرا لكنت في حاجة ماسة الى أبنائي لكي يساعدوني ولو بالتسول فهل وضح لنا وضوح العيان أن الفقر يدفع الى الجهل وهنا تكون الطامة الكبرى فلا بقاء لجاهل على وجه هذه الارض فالجاهل يفعل الكثير دون وعي والكثير هذا يؤدي الى ما لا تحمد عقباه فهذا جاهل وذاك فقير وهذا مريض واذا ما كان جاهلا وفقيرا في نفس الوقت يكون حصنا حصينا لجماعة كريمة قد اتسمت بحسن الضيافة والكرم ألا وهي جراثيم المرض وبذلك يصبح هذا المسكين فقيرا وجاهلا ومريضا وأترك لك أيها القارىء العزيز أن تتمعن في عاقبة هذا . هذه العاقبة الوخيمة التي قد تودي برب عائلة كبيرة ذات عدد عديد . ومن هنا يبدأ التشرد والضياع ، وندور حول دائرة ليست بمنقطعة أو متصلة ، ولنترك هذه النقاط الثلاث وننتقل الى نقطة أخرى هي أهم وأدهى ألا وهي وقت الفراغ . وقت الفراغ الذي قد يكون ذا أثر سيىء ، ووقت الفراغ هذا قد يكون معظم وقت الفلاح في أوقات محدودة ، كوقت فيضان النيل ومعظم فصل الشتاء ، حيث لا عمل له الا الاحتكاك بالآخرين واثارتهم بشتى الطرق ، وهل تعلم أن بصلة واحدة قد أودت بأحد عشر نفسا في قرية من قرى الصعيد في مديرية قنا بعد معركة دامية أطلقت فيها على وجه التحديد كما جاء في قرار وزارة الداخلية ومديرية الامن العام ١٤٠٠ طلقة ثمنها حوالي ١٠٠ جنيه مصري وأصل هذه الجريمة كما سبق أن قلت بصلة واحدة قد أودت بكل هذا . وحادثة أخرى قد حدثت وكنت واقفا منذ بدايتها وتابعتها حتى النهاية وقد حاولت بقدر المستطاع أن أوقف تيار هذه الجريمة ولكن وا أسفاه لم أستطع واليك صورة مبسطة عما حدث بالضبط ، وأترك لك الحكم عليها :

طفل في العقد الاول من عمره أتى بجوار قناة بها ماء وفتحها حتى تدفق الماء غزيرا ، فجاء رجل وقال له لماذا هذا يا غلام ؟ فثرثر معه الطفل كثيرا ، وجاء شاب في حوالي العشرين من عمره فرأى أن هذا الطفل يسب أباه فعز عليه ذلك وقال للغلام ليه كده يا حسن فقال له

الغلام لان أبوك ما عندهوش دم . فثار هذا الشاب وقذف بالطفل الى القناة وحاول والد الشاب انقاذه ولكن الموت كان ينتظره فجاء والد الطفل يجري وكان وحيده فثارت ثائرته وقتل الشاب وأباه ولغاية هذه اللحظة كنت قد أخبرت الشرطة منذ رأيت تطورات الحادث ولكن أحدا لم يشعر حتى انتهت الواقعة وجاء البوليس وجاءت معه القرية عن بكرة أبيها واشتبكا معا فسقط ضحية هذه الكارثة ١٤ شخصا . الى هنا أترك لخيالك أن تتصور كيف تطورت هذه الجريمة الى هذا الشكل الواسع .

والآن أعدد الدوافع لارتكاب الجريمة :

١ ـ الفقر والجهل والمرض .
٢ ـ وقت الفراغ .
٣ ـ صغر المساحات المزروعة الخاصة بكل فرد ، وقلة الترع والمصارف .
٤ ـ قلة المواصلات .
٥ ـ العطالة والبطالة .
٦ ـ تحكم العادات القديمة .
٧ ـ التدين الاعمى .
٨ ـ تهيئة الفرصة للقتل بسبب الآلات الزراعية.

فتعال معي لاسرد عليك أمثلة حية على كل هذا :

١ ـ الفقر والجهل والمرض :

وقد سبق أن ضربنا المثل الاول على الفقر والجهل والمرض .

٢ ـ وقت الفراغ :

وقد سبق مثلنا عليه بالمثال الثاني ومع أننا قد بذلنا الكثير من نهضة الريف الا أن الفلاح لا يجد الفرصة الكافية لكي يقضي وقت فراغه ليعود عليه بالنفع فما يزال الريف في صعيد الاقليم الجنوبي محروما من شاشة السينما ومن الملاهي والنوادي حتى أنهم ما زالوا يعتقدون أن السينما حرام وعلى ما أظن وهي الحقيقة التي لا بد منها أن جهاز الراديو لم يدخل الا في بيوت قلائل ونادرة فيقضي الفلاح يومه كما سبق أن قلنا عابثا بحقوق غيره ومن هنا تجد الجريمة طريقها بسهولة .

٣ ـ قلة المساحات المزروعة الخاصة بكل فرد ، وقلة الترع والمصارف :

وهذا هو السبب الكبير فيما يحدث ، فمثلا الري الذي يأتي في أيام محدودة ومعدودة والكل يود أن يكون هو السابق لري أرضه وكما قلنا المساحات صغيرة وكثيرة ومن هنا يبدأ الاحتكاك بالآخرين . ومثال ذلك حادثة قتل فيها ثلاثة . شخص أراد أن يروي زراعته وآخرون مثله ، فاحتكوا معا وحدثت الكارثة وفرص القتل مهيأة ومعدة وسهلة ، فالفأس في يد كل منهم والشيطان يلعب دوره بسهولة والجهل أبو الجميع والجريمة مهيأة والفرار سهل يسير فكيف اذن نعتب عليهم وهم ضحايا ومما ينسب اليهم أبرياء فوالله لو كنت في مكان واحد منهم ما توانيت لحظة على أن أقوم بدوري بكل سهولة وبساطة .

٤ ـ قلة المواصلات :

فلا نجد في القرية الا تليفونا واحدا وقد يكون معطلا وهو تليفون دوار العمدة يتلقى الاشارات من الوزارة ومن المحافظات وما للمواطنين فيه من شيء . أما عن طريق المواصلات فلا يوجد غير الحمار والجمل حتى أن نقطة البوليس الموجودة في القرية لا يوجد فيها سوى الخيل المدرب على السير البطيء وطبق ذلك على المثال الذي سردته لك بشأن هذا الصبي البريء الذي ضاع ضحية ثرثرته .

٥ ـ العطالة والبطالة :

وقد أشرنا اليها وهي داع من دواع الفقر .

٦ ـ تحكم العادات القديمة :

فحينما تطالع أهل القرى في صعيد الاقليم الجنوبي لنستعجب كل العجب مما يطالعنا لاول وهلة فما يزالون يعتقدون في الشعوذة والسحر . والويل كل الويل لمن يقع تحت أيدي هؤلاء السحرة والمشعوذين وهم أصل أكثر الفتن . والقضاء عليهم أنجع دواء ولنضرب على ذلك مثالا حيا رواه لي أحد القرويين قال لي في العام الماضي كان لي أخ قد قتل ولم أعرف من القاتل وذهبت لكاهن أعرفه ويعرفني واستشرته في الموضوع فقال لي ان روح أخيك القتيل تناديك لترد لها شيئا من شرفها وكرامتها فقلت له كيف ذلك قال لي أقتل القاتل . قلت القاتل يا سيدي ما زال مجهولا . قال لا بل هو معروف . قلت بالله عليك من هو . قال لي فلان. وفعلا كان يوما مشؤوما وقتلت هذا المسكين ويا ليتني مت قبل أن أقتله . فاستدرجته في الكلام قائلا لم ، أليس هو الذي قتل أخاك؟ قال لا والله بل هو بريء كبراءة الذئب من دم يوسف قلت له وما الذي دفع الكاهن لان يقول بأن أخاك قد قتله فلان ؟ قال : الحقيقة يا سيدي والحقيقة المرة التي لا بد منها أن أخي قد انتحر انتحارا وأن الجرن قد سقط عليه عقب سيجارة فأحرقته وأن الذي قتلته لم يكن الا ضحية بريئة لمكيدة الكاهن الساحر . قلت ولكن لم يكيد الكاهن لهذا المسكين ؟ فقال لي لانه لم يؤمن بسحره وشعوذته وهدده بالطرد من القرية ان لم يخرج منها

بسلام • فدبر له مكيدته بسحره وشعوذته •
قلت له : هل ما زلت تؤمن بسحره وشعوذته ؟
قال : نعم • أليس هو الذي قتل فلان •
قلت له : هذا ليس سحرا ولا شعوذة بل هو المكر والخديعة والفسق والنفاق •

ولا أطيل عليك أيها القارىء في الحديث بل أود أن تعلم أن هذا المسكين الذي قتل وهذا الذي ندم هما في الحقيقة أبرياء وضحيتان • والقاتل الاصلي هو ذاك المشعوذ • فلماذا لا نقضي على هذه البذور السيئة والشريرة ونحن في القرن العشرين وقد نصل الى القمر والمريخ وما زال ريفنا في صعيدنا من يعيش بتفكيره في القرن الثامن عشر بعقليته المتحجرة الصلبة •

هذا الذي نسرده لكم حدث تقريبا منذ خمس سنوات ولكننا اليوم وبعد أن هبت ثورتنا ثورة تموز ١٩٥٢ قد حققنا على أيديها الكثير فمن دعاية طيبة عادت وتعود علينا بالخير الكثير لذلك فقلما سمعنا عن قتل تبعه ثأر في الايام الاخيرة الا نادرا جدا •

التدين الاعمى :

فحينما نذكر التدين في الصعيد نقول أن هناك تدين بحق ولكنها طاعة عمياء للواحد القهار ليس الا ومعنى ذلك أن الفلاح يطيع الله فيما أمر وينتهي عما نهى والحقيقة أن الله تعالى قد قال في كتابه العزيز :

« ولا تقتلوا النفس التي حرم الله قتلها الا بالحق »

فمن أين للفلاح الذي قد يكون جاهلا وقد رأى بعيني رأسه أن هذا الذي قتل قاتله يتضاحك ويتلاعب وقد راح غيره الى السجن ضحية بريئة مظلومة وقد يساق الى حبل المقصلة بغير ذنب اقترفه ولا بجريرة ارتكبها فما عساه يفعل غير أن يقتله والنفس أمارة بالسوء وصدق الشاعر اذ يقول :

نشكو الزمان وما أتى بجناية
ولو استطاع تكلماً لشكانا

وهكذا تتطور الامور من سيىء الى أسوأ •

٨ ـ تهيئة الفرصة للقتل بسبب الآلات الزراعية:

وأما عن القتل ذاته فانه قد يكون نتيجة لغير قصد فمثلا رأيت هذه الحادثة بأم عيني :

كان فلاح يمزح مع آخر ويتلاعبان سويا واذا بالفأس تهوي فوق رأس أحدهما ولم أعرف حقيقة أمرهما ولكني سمعت من أحد الناس يقول : لقد كان لفلان على فلان ثأر • ومن هذا الحادثة يتجلى لنا مقدار الوهم الذي نتوهمه عن عادات الفلاحين فما دمنا نظن أنه لن يكون هناك قتل الا بسبب أخذ الثأر فهل يعني ذلك أن أمريكا ما زالت فيها هذه العادة ؟ وما دمنا نسمع ونسمع الكثير عن جرائم الثأر المنتشرة في الولايات المتحدة الامريكية وفي لندن عاصمة بريطانيا وفي باريس عاصمة فرنسا •

والآن تعال معي أيها القارىء الكريم لنتمعن قليلا في ذلك فمثلا لو أن القتل لا يأتي الا نتيجة للثأر فلا بد أن هناك نواة لهذه النتيجة وهي جريمة قتل أخرى هذه النواة التي قد تكون هي السبب في كل هذه المشكلة أما عن الاصلاحات التي أراها ملائمة لكل ذلك فهي كسب الاولوية على الترتيب :

١ ـ القضاء على الفقر والجهل والمرض •

٢ ـ الدعاية الثقافية وتنوير الاذهان •

٣ ـ تهيئة الفرص الكافية للقضاء على وقت الفراغ •

٤ ـ تهيئة الطرق وتحسين طرق المواصلات وامداد نقط الشرطة بالسيارات الكافية •

٥ ـ القضاء على البطالة بتصنيع الريف وتسويق منتجاته •

٦ ـ القضاء على المشعوذين والسحرة •

وهكذا نقضي على الجريمة من بذورها وفي أيدينا وها نحن أولاء قد حققنا الكثير والله ولي التوفيق •

باهر مدحت

المسجلة

قصة بقلم : محسن علي يوسف

كان الضوء الخافت الذي تبصقه باسترخاء تلك « اللمبة » المعلقة على أعلى العمود الطويل ، يشتت حفنة من الظلمة الحالكة التي أحاطت بالمدينة الوديعة منذ ساعات قلائل . وكان النسيم يداعب الاشعاعات فتسكن حينا وترقص لتتهادى وتحدد معالم وجهه النحيل وقامته المديدة ..

ولم يدر لماذا تقوده قدماه في مثل هذا الوقت من كل يوم ، بل في مثل هذه الساعة من الليل الى هذا الطريق الذي يكاد يكون خاليا الا من شلة اعتاد أن يتعثر بها وقد لفظها المقهى الذي يتبوأ المدينة . لعله كان يستطيع أن يتنفس ملء رئتيه في معزل عن الناس . أو يستطيع أن يقطع مسافة دون أن يصادف أحدا يقطع عليه سلسلة أفكاره المتلاحقة الملحة .. والتي تكاد تكون رهيبة .. وأغلب الظن لم يع وجود أخيه زياد الذي يصغره بسنوات قليلة .. وقد حاذاه في الطريق .. ربما كان زياد لا يريد أن يقطع عليه أفكاره فتعمد أن يدمج ايقاع رجليه في المشي مع ايقاع أخيه .. حتى ليخيل لك أنهما يمشيان في استعراض عسكري ضخم .. ولم يدر زياد كيف خرجت تلك الكلمات العفوية من فم أخيه :

– ان المشكلة تبدو أصعب مما نتصورها .. !!

– وأية مشكلة يا نزار ؟؟!!

لكنه كان يعرف أن نزار سوف لا يجيب فهو في عالم غير عالم أخيه .. فقصد أن يعلق ناظريه بأعين أخيه لينتزع منه جوابا يجلو به تلك الافكار الجنونية التي بدأت تعبث برأسه .

– مشكلة بديع أفندي زوج أختك !!

ولعل زياد بهت عندما صبت تلك الكلمات القليلة على مسمعيه .. وفي الحقيقة كانت مشكلة تهم العائلة كلها .. ولكنه لا يعرف حقيقة شعوره حول هذه المشكلة .. ولعل أفكاره لم تتبلور بعد وتحدد موقفه من هذه التي سماها أخوه منذ قليل « مشكلة » وهم هو بالتالي لنثر كلمات قليلة علها تشعر أخاه بأنه يشاركه المصاب والعبء

– ان كل شيء يحل ياعزيزي !!

– لكن هذا اللعين السافل استغل سذاجتنا وأوقعنا في شراك أساليبه الملتوية الخبيثة .

وزياد بغير حاجة لشرح ما استغله زوج أخته بديع أفندي . الذي يمثل في نظره الذئب دائما .. ولشد ما ارتبطت هذه الفكرة برأسه عندما وجد نفسه يمثل الضحية .. هذا الذئب الذي تبنى اللف والدوران وأوقع الكثيرين بشراكه ..

ولعل الشيء المحير بالنسبة لزياد .. كيف وصلت السذاجة عند أخيه لهذه الدرجة

– أستغرب يانزار عندما أفكر بذلك ..!!

– بماذا ؟؟

– كيف وقعت له على أوراق بيضاء تماما

– ... !!

– ترى ألم تشك بشيء ..

وهنا همهم نزار محاولا تبرير موقفه

– لكن .. لكن يازياد لا تنسى أنه زوج أختك قبل كل شيء .. وهل هو موضع للشك وخاصة لم يمض على وفاة والدنا شهر تقريبا .. كانت المصيبة لا تزال ساخنة ..

– ألم يذكر لك الاوراق البيضاء الموقعة بامضائك ؟؟

– لقد ذكر لي في الرسالة .. أنه يريدها لحاجتها الماسة في الدوائر العقارية .. لتصفية ارث والدنا الراحل ..

وبصق زياد بصقة كبيرة تكورت على الارض .. وتركها للضوء يتلاعب بها

– وهل تعتقد أن الديون المدبجة على الاوراق كبيرة ؟؟

– سمعت من بعض الناس أنها تقدر بخمسة آلاف ليرة ..

وكان الصدى بالنسبة لزياد رهيبا جدا .. بحيث أخذت أوصاله ترتجف مع نسيمات الليل الرطبة .. !!

« خمسة آلاف ليرة سورية » ؟؟ انها القيمة نفسها التي ستأخذها العائلة من الدولة كتعويض عن خدمات والدها الراحل .. !!

وفجأة قفزت الى ذهنه فكرة ..

– ما رأيك يانزار بمسجلة ؟؟

ولعل نزار صدم بهذا القول اذ ما علاقة الموضوع بشراء مسجلة ٠

ـ مسجلة ؟؟

ـ نعم ٠٠ نعم مسجلة !!

ـ لكن ما فائدتها ؟؟ وما علاقة موضوعنا بالمسجلة ؟؟

ـ اسمع يانزار ٠٠ انه على الاقل منكر فعلته المشينة الآن ٠٠ والخبر لم نسمعه منه بل من الناس ٠٠ الذين روى لهم الحادثة ٠٠ أليس كذلك ؟؟

وتعلقت عينا نزار بأخيه وهو كالغريق يبحث عن أي قشة ينجو بها

ـ بالضبط ٠٠ آه الآن فهمت ٠٠

ـ انتظر سأشرح لك ٠٠

ـ فهمت ٠٠ فهمت ٠٠ تقصد أن نسجل له حديثا يصرح به أن الديون لا أساس لها من الصحة ٠٠

ـ تماما !!

وتهللت قسمات نزار بشيء من الوضوح وانجلت تلك النظرات الشاردة على مد عينيه ٠٠

ـ ولكن كيف باستطاعتنا ذلك ؟؟

ـ هذا في منتهى السهولة ٠٠ نضع المسجلة وراء الكتبة ونتحدث نحن معه ونسوق الموضوع الذي نريده ٠٠ وبذلك نجعله يعترف بأن الديون غير صحيحة ٠٠ وما هي الا اشاعات كاذبة ٠٠

ـ وماذا تعتقد يازياد أتفيدنا الشريط ؟؟

ـ انه ضمان للمستقبل ٠٠ في حالة قيامه بأية دعوى ضدنا يطالبنا بها بالديون المدعاة ٠٠

ولم يشعرا الا وأقدامهما قد اقتربت من المنزل ٠٠ ففتحه نزار وهو يتمتم :

ـ يا الهي ٠٠ انها فكرة رائعة ٠٠

ودخل زياد غرفته وأطفأ النور ٠٠ ثم استلقى على سريره منهوكا ٠٠ وراحت أحلامه العنكبوتية تمد خيوطها المتشعبة في رأسه ٠٠ فطالما كانت تراوده فكرة شراء المسجلة ٠٠ وكم بنى أحلاما عليها ٠٠ لا تلبث أن تتهدم عندما يرجع الى نفسه ويعلم أن ذلك صعب التحقيق ٠٠ ولم يشعر بنشوة عميقة مثل ما شعر بها في هذه اللحظة ٠٠ حتى خيل له أن هذا الذي يتنفسه ليس هواء وانما مزيجا من العطر والنجور والصنوبر ٠

لكن الشيء الذي ظل يحيره ٠٠ هل هو يشعر بهذه النشوة لانه وجد حلا للمشكلة أم لانه سيحقق أحلاما صغيرة ترعرعت في رأسه ٠٠ ولم يشعر بتلك الكلمات الاذاعية التي خرجت من فمه ٠٠ وأنت تسمعه يخيل اليك أنه مذيع كبير ٠٠ بل راح يقلد « آمال فهمي » وتخيل نفسه وقد وقف على « الناصية » وهو يسأل أخويه الاسئلة العديدة ٠٠ ولشد ما تسري النشوة في جسده عندما يطلب منهم أن يختاروا أغنية ليقدمها لهم ٠٠ وهذا سهل جدا ٠٠ لا يحتاج الا أن يذهب الى صديقه « محمود » الذي يملك جهاز « البيكاب » ٠٠ ويسجل أي اسطوانة يطلبها اخوته ٠٠

وأخذ يسترسل بأحلامه الناعمة التي بدأت تدغدغ أعصابه بحنو زائد حتى نقلته الى عالم الخيال ٠٠ ولم يشعر الا ويد تفتح الباب وتشعل الضوء ٠٠ انه نزار ٠٠ وكان يبدو واجما ٠٠ تفضحه قسماته القاسية ٠٠ وجلس على الكتبة ووضع وجهه بين يديه وقد تدلت من احداهما لفافة ٠٠ يبدو أنه أشعلها قبل أن يدخل الغرفة بقليل ٠٠ وخيم الصمت والسكون على الغرفة ٠٠ ولم يحاول زياد أن يقطعها حتى لا ينقل من عالمه السحري ٠٠ الخيالي ٠٠ الى عالم الواقع الذي يريد نزار ـ على ما يبدو ـ أن ينقله اليه ٠٠ وحاول زياد قدر الامكان أن لا يعير أذنيه لاخيه ٠٠ لكن الكلمات المزعجة قرعت أذنيه ٠٠

ـ فكرتك يازياد جيدة ٠٠ ولكن ٠٠ !!

وانتقل الوجوم فجأة الى وجه زياد ٠٠

ـ ولكن ماذا ٠٠؟؟

ويبدو أن نزار لاحظ تحفز أخيه لما سيقوله ٠٠ فحاول قدر الامكان أن يخفف من صوته ٠٠ وأن يستعمل المنطق معه ٠٠

ـ تعلم يازياد أن أحوالنا المادية لا تساعد في شراء المسجلة ٠٠ وأنت تعلم أيضا أن موردنا هو راتبي فقط ٠٠ لذلك كما ترى يستحيل شراء المسجلة ٠٠ وهب زياد ثائرا ٠٠

ـ ولكننا نستطيع أن نشتريها بالتقسيط ٠٠

ـ بالتقسيط أو غيره ٠٠ لا نستطيع شراءها الآن ٠٠ وخاصة وان قسما كبيرا من راتبي يهدر للسفر اليكم في كل مدة من مركز عملي البعيد ٠

وبدأت الدوائر تتسع أمام عيني زياد وهي تدور بشكل عنيف ٠٠ وكم ود في تلك اللحظة لو يستطيع أن يقول لاخيه أن يخرج من الغرفة ويتركه وحيدا ٠٠ ويبدو أن نزار لاحظ وجوم أخيه فاقترب منه وهمس :

ـ لا تنزعج يازياد ٠٠ لنبحث عن حل آخر !!

وهب زياد ثانية

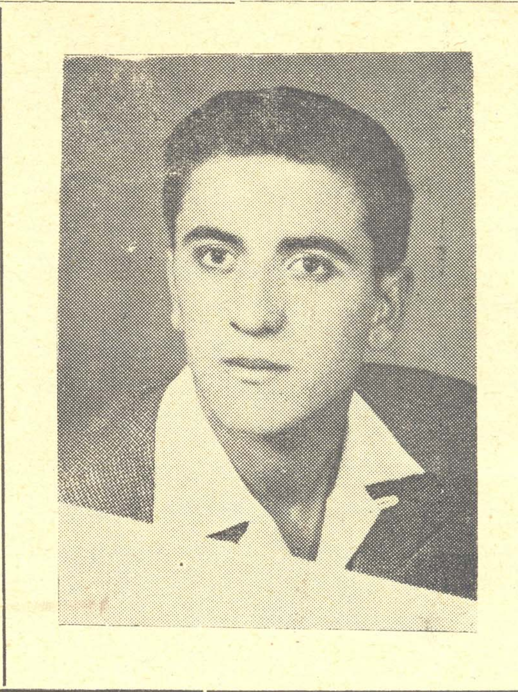
ـ أرجوك أن لا تدخلني بهذه الامور مطلقا ٠٠

وهنا قهقه نزار ألما وسخرية

ـ لماذا لم تقل ياعزيزي أنك تحلم بالمسجلة ٠٠؟؟

ولكن زياد كان بعيدا عن عالم أخيه ٠٠ فاستلقى ثانية على السرير ٠٠ وصورة المسجلة ٠٠ تبعد ٠٠ وتبعد ٠٠ وتختفي ٠

حلب ـ محسن علي يوسف



نجوى

الى سراب محرق صاغ شعوري

شعر : محمد يوسف

عامان - ليلية الاهداب - قد غربا ... أضنى جفوني وجسمي فيهما السهر

وجن في مقلتي طيف يؤرقني ... وأن بين ضلوعي خافق حذر

مختالة الطيف عندي كل قافية ... لو قلتها لتغنى بالهوى الحجر

اني غريب وقوتي في الهوى ذكري ... أليس لي عند آفاق الهوى خبر

سمراء واحة عمري هدهدى حلما ... بكرا تضاحك في أرجائه الزهر

عيناك ما زالتا في خاطري أفقا ... ونعمة وضياء صاغه قمر

عيناك يا أبحرا تجتازها سفني ... ما بالها قد نأت عني بها الجزر

قلبي بها زورق والحب أشرعتي ... وحاق من كل حدب فيهما الخطر

وأنت في أفقي الريان أغنية ... سكرى يداعب فيها الناي والوتر

ونغمة في حدود الغيب أسمعها ... ترنم الليل بالالحان والسحر

يا نفحة في دمي أطيابها ضحكت ... يشدو بروحي شذاها ثم ينتشر

أهفو الى منهل في مقلة جمعت ... فيها الاماني عذابا والتقت ذكر

ان تذكري زمنا آفاقه التهبت ... هلا ذكرت زمانا ضمنا سمر

ونحن في شفة الاشواق ملحمة ... غنى وأنشدنا أبياتها العمر

غران نضحك للدنيا وبهجتها ... نري الحياة أماني العيد تزدهر

والطهر يغمر قلبينا بنشوته ... والحب يسكب أشواقا وينهمر

* * * *

والآن مؤدتي ما حال حاضرنا ... اذ نحن في حقب الماضي الندى سير

ماذا روى الناس أشياء ملفقة ... قالوا غدرت وقالوا كاذب أشر

في القلب من عبق الماضي أريج هوى ... لو يلمسون بقاياه به عذروا

ما حيلتي ودواعي الحب ميتة ... ما حيلتي وقوافي الود تحتضر

سمراء يانجمة في خاطري بزغت ... يسمو اليها طموحي ثم ينحدر

ما أنت الا سراب في مخيلتي ... يذيب قلبي بنار منه تستعر

أصبحت منذ نأى تحناننا قمرا ... يبدو جليا لعيني ثم يستتر

يا دوحة غضة في واحتي غرست ... وليس في رزقها المنثور لي ثمر

أفدي هوى كوضوح الشمس قدرته ... لكنه بوشاح الهجر يأتزر

أراه في الظن أحلاما مصورة ... فان تيقظ حسي مادت الصور

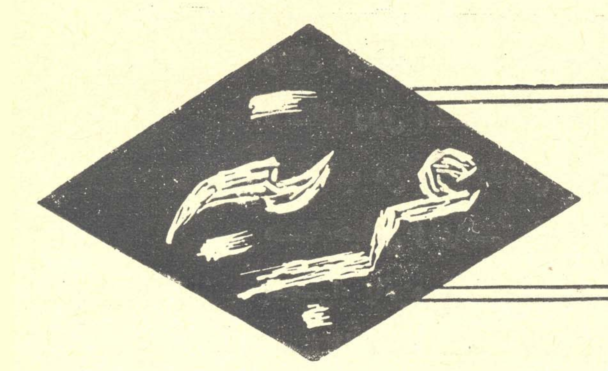
لما رفعت عن الماضي ستائره ... ولاح بين ركام الامس لي أثر

هتفت الا عصفت في داخلي فكر ... تبدو لعيني سعيرا ليتني قدر

* * * *

الاقليم الشمالي – جبلة ... محمد يوسف

مناقشات



دور المرأة العربية في الكفاح

بقلم : فاطمة الشلق

يسعدني أن أغتنم الفرصة في هذا الشهر المقدس الشهر الذي حدثت فيه أعظم حدث قومي في تاريخ الاقليم السوري ألا وهو جلاء الافرنسيين المستعمرين عن بلادنا العربية يوم ١٧ نيسان عام ١٩٤٦ ـ أغتنم هذه المناسبة الكريمة التي تعبر أصدق تعبير عن قضية العروبة وقلبها النابض الخفاق قضية العروبة في سوريا مركز الاشعاع والانطلاق في حركات العرب التحررية ـ لاكتب عن دور المرأة العربية في الكفاح من أجل الحرية والاستقلال في الماضي والحاضر والمستقبل .

قامت المـرأة العربيـة بدور فعال في حيـاة البلاد السياسية منذ القديم حتى الآن ـ دخلت الحياة السياسية من أوسع أبوابها فشاركت الرجل في النضال التحرري وساهمت في حياة البلاد الاقتصادية والانتاجية .

فالمرأة العربية في فلسطين ساهمت مساهمة فعالة في الكفاح والنضال والجهاد ، مشت مع الرجل جنبا الى جنب في الكفاح ضد الاستعمار ، نقلت الزاد والعتاد الى رؤوس الجبال ، باعت حليهـا وأمتعتها لشراء السـلاح وقدمت أولادها للذود عن أرضها وأمتها ووطنها .

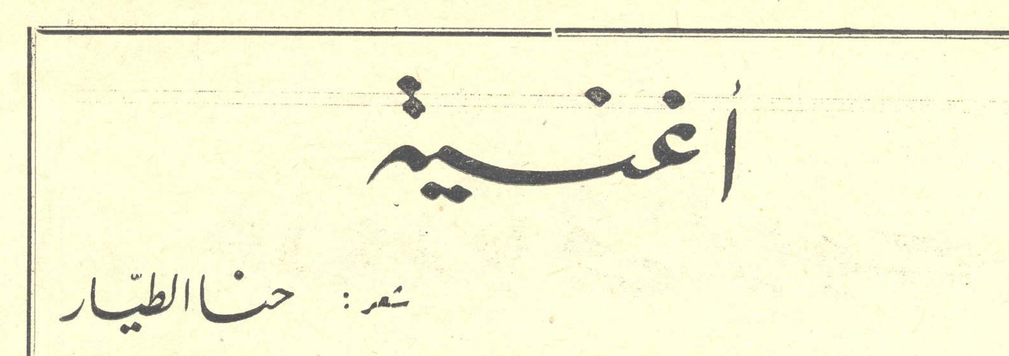
ووقفت المرأة العراقية في العهود الغابرة المظلمة مع الرجل مساندة مشجعة تعمل بعزيمـة مدهشة لتبديـد الظلمات الكالحة وتحقيق الحرية والعدالة . كما وقفت المرأة الجزائرية وجها لوجه أمام الفرنسيين الغزاة وهبت ملبية دعوة جبهة التحرير الوطنية الى الكفاح والنضال منذ أن اندلعت الشرارة الاولى للثورة الجزائرية ولـم يعقها أن تكون حضرية أو ريفية صغيرة أم كبيرة فتحملت العبء وكافحت كفاحا شاقا مريرا دخلت النضال وهي



مصممة على بلوغ غاية الاستقلال المنشود دخلت السجون والمعتقلات وواجهت أحكام الاعدام بشجاعة وايمان .

ولم تكن الجمهورية العربية بمعزل عن هذا التيار، ففي مصر انبثقت الحركـة النسائية عن الثورة الوطنية التي اشتعلت عام ١٩١٩ ، وفي سوريا مشت المرأة الى جانب الرجل في ميدان النضال منذ أن جـاء غورو الى سوريا عام ١٩٢٤ .

أسست المرأة السورية الجمعيات الخيرية والثقافية



انـي لاقـرأ في عينيك أغنيـة ... أشجى على القلب من حلو الاغاريـد

ترى سليمان في عينيك يبعثها ... من هيكل الله .. في سحر الاناشيد

أو مهرجان من الالحان قد سفحت ... من كـل صوب على ليـل المراويـد

تغلـي بعينيك كل الشهب من بـذل ... كأنها كلهـا في قماحة العيـد

تغوي وتسخو فـلا تنفـك راقصة ... فترسل الضوء .. مخمورا كغربيد

يـا ريحها سكرت في جو أغنية ... وما درت .. بـين تصويب وتصعيد

جن النجوم .. على عينيك مـا رفنا ... غـير النجوم ، ولكـن من عناقيـد

حنا الطيار

والاجتماعية وشاركت في العمل السياسي ، انضمت ، الى الدفاع المدني والهلال الاحمر فأدت رسالتها الانسانية باخلاص ووفـاء ، شاركت في المقاومـة الشعبية فحملت السلاح وتعلمت اطلاق النار لتكون صفا ثانيا للجيش العربي ، ساهمت في جميع المناسبات القومية ، ساهمت في جمع التبرعـات لاسبـوع التسلح وللجزائر ولاغادير ولمعونة الشتاء ولغيرها ولم تترك فرصة أو مناسبة تفوتها الا وتشترك فيها بشوق وحماس واخلاص ، وزاد اتساع هذه الحركة ابان العدوان الثلاثي على مصر .

وشاركت المرأة السورية الرجل في اضرابات عام ١٩٣٦ التي دامت أربعة وخمسون يوما وكانت السيدة شفيقة جبري احدى ضحايا الفرنسيين في هذا الاضراب، وما أن وقع العدوان الفرنسي على سوريا عام ١٩٤٥ حتى هبت المرأة السوريـة للكفـاح والنضال فجندت جميع كفاءاتها ودخلت المستشفيات والمستوصفات لتلقى الجرحى والمصابين برصاص العـدو فأدت واجبها تحت رصاص المستعمرين .

كماشاركت المـرأة السوريـة في جميع المؤتمرات التي دعيت اليهـا فكانت خـير رسول لقضية فلسطين والجزائر ولقضية المرأة العربية حيث دوى صوتها عاليا لنصرة الحق وزهق الباطل .

....

فالمرأة العربيـة في الجمهورية المتحدة اليوم تقوم بدور فعال في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية . وان عليها مهمات جسيمة في تربية الاجيال القادمة من شبان وشابات ، عليها أن تبث فيهم الشجاعة والاقدام ، وأن تغرس في نفوسهم معنى الحرية والكرامة ـ وتشرح لهم دسـائس الاستعمـار وخطره على وطنهم وأمتهم ومستقبلهم وترشدهم الى طريق البذل والتضحية من أجل كرامتهم وحريتهم وبلادهم . عليهـا أن تبثهم الروح الوطنية والقومية فترضعهم لبن العروبة وتغذيهم ثورة الشعوب وتعلمهم الخلق والاخلاق وتزودهم العلم والتضامن وعليها المساهمـة في حركات التحرر الوطني لدى الشعوب المغلوبـة على أمرهـا لتصفية الاستعمار تصفية نهائيـة والقضاء على فكرة التسلط على الشعوب الضعيفة ـ ويجب عليها أن تعمل على بناء المجتمع بناء قويا راسخا يمكن أن يقف في وجه المطامع التي تحيط بنا من كل جانب فنحن نريد كما قال سيادة الرئيس عبد الناصر ، أن نسير قدما في طريقنا يد تعمل وتبني ويد تحمل السلاح .

وعلى كل حال ان معركة الامة العربية مع الاستعمار لم تنته بعد ، ولنا جولة مع الاستعمار وأعوانه ، جولة تحددها دماء الشهداء في سوريا ومصر والعراق والجزائر وفلسطين والاردن بل دمـاء الشهـداء في جميع البـلاد العربيـة التي ضحى من أجلها الابطـال واستشهد في سبيلها الامجاد ، ولـم يكن هؤلاء الشهداء الا علما من أعلام هذه الجولة عندما يرتفع فوق الوطن العربي كله من الخليـج الى المحيط صوت اخوانهم وابنـائهم وهـم يهتفون الثأر لشهدائنـا وأبطالنـا والمـوت للخونـة والاستعمار .

فاطمة الشلق

جذورنا في الريف

شعر : عبد الكريم الناعم

جداول الحقول وانتفاضة السهول
ورفة الجناح في مسارب الصباح
وخطوة الربيع في مواتنا الجديب
يعيده ، يبثه آذار الهيام
فتلتقي الورود حول رعشة الغدير
تهيم فالصلاة عشق الرب في الكون الجميل
جداول الحقول
طيورها
نسيمها الريفي عبر تلعة السهوب
ودیانها ، خرافها ، تشوق الرفاق
جنوحها لعالم الاسطورة العميق
سماؤها ، أديمها ، ولفتة الدروب
وكوخنا
أكلها انتظارها يطول ؟!

★ ★ ★

يهزني آذار ، بدمي كل ذكرى النازحين
يخز في جذوري السكين في بطء مكين
وتورق الكروم خلف سدرة الخيال
وتأكل السنون من حشاشتي الامل
ويهتف القصيد أني ها هنا لما أزل
فهل أظل يا ترى مجرح الجبين
تحط في أعماقي انطفاءة السنين
ضحيتي ، عواصفا شقية الانين

★ ★ ★

حياتنا .. انتظارنا
آمالنا .. أخيه الورود والسنا
وشهقة في أضلعي تزجها بقية
فيلتقي السؤال بالظلال
وتسبح العيون في متاهة القمر
وينتشي تساؤل في قصتي : أهل خبر ؟!

★ ★ ★

جذورنا في القرية البعيدة الحبيبة
ونغمة الرباب واهتزازة الوتر
وجارتي - وخاطب جديد -
بريدنا ، وخصلة كئيبة الوجود
تلفها هدية للامسيات المقبلة
اذ لا لقاء ياله لقاء

★ ★ ★

طيوفا تلوب في هيامها الطويل
هل عودة ؟ يا حرقة في أضلع الزمن
ألوكها براعما مريرة الحياة
قصائدا جريحة ، يلمها الرواة
لتؤنس السمار حيث تزدهي الجراح
ويرقص الصباح
للامسيات

★ ★ ★

تدمر - عبد الكريم الناعم

أشعار من أجل الصيف

شعر : اسماعيل عامود

قميص

رأيتك تجلسين تحت الدالية المرتعشة بألوان الخريف
تغزلين قميصا لك من الصوف ،
تستقبلين به الشتاء القادم من صوب البحر ..
وكنت تترنمين بأغنية ناعمة قلتها لك البارحة ..
عندما التقينا على المفرق الاخضر ..
وقد كللته سحب الضباب المتكاسلة .!
لم يكن لديك أي شيء يجعلك مضطربة .؟
لقد كانت حالك آية في الروعة والهدوء ..
جلستك الانيقة تلك ..
تحدثت عنها صبايا القرية طيلة السهرة ..
عندما مررن بك في طريقهن الى الينبوع ..
والعنادل .. رقصت فوق الاسيجة المعطرة بغبطه ..
من أجلك ، ياذات الشقيق البوهيمي على شفتيها ،
كل هذا الرواء الجميل ، يلف أطراف المصيف ،
ذاك الذي يحلم أبدا .. على طلول ذكرياتك ياحلوه .!!
فترتعش الظلال الحانية في حب ،
فوق جلستك الرائعة تلك ..
وأنت تعبثين بخيوط الايام القادمة
مع أول قطرة تدمع من عيون السماء ..
لقد مرت عليك آنئذ أصفر سحابة رعشاء ..
نظرت اليها وأنت وجله ..
وهتفت لي : ـ جاء الخريف .. جاء ..
وعلينا أن نلملم أشواقنا
خشية الصقيع ..!!

مطر ..

في الصباح .. سقطت قطرة مطر من غيمه ،
كانت تتسكع في الفضاء الرحيب ..
بللت ضفيرتك الخرندبية العطشى ..
وهبت من صوب الجبل الازرق ، ريح خفيفة جذلى ..
انفرجت لها أساريرك الجميلة ..
ورداؤك البديع ، ضحكت أطرافه بفرح ..
وهتفت بي : ـ جاء المطر ..
سيبكي على شباكنا بقطرت غزار ..
سيمر فوق حقولنا يقبل الزرع الكثير ..؟!!
والراعي .. سيعود بقطعانه المبللة بالماء ..
سوف لا يتبين من خلال المطر ،
أين هي الحظائر المبنية في الضيعة بأعواد الاشجار ،
وسيكون الفلاح أكثر غبطة وسعادة ..
عندما يرجع الى أطفاله غارقا بعطر السماء ..
ستضج القرية بعرس أبيض ،
تسرد الحكايات العذبة عن موسم مترف خصيب ..
وأكون .. أنا .. في شباكي ، أنتظر القمر
والعابرون .. سيومئون لي .. بأذرعتهم الطويلة ..
أما أنت يا بعيد ..
ستكون أكثر شاعرية في المدينة ..
تحلم بالنوافذ الزجاجية المقفلة ..
عندما تمر بها في يوم شتائي غريق
لا صبية تحييك بابتسامة لقاء ..
لا عصفور يقفز أمامك على الاسيجة المنداة ..
وستذكر .. تلك التي تركتها في الضيعة ..
كيف أنها الآن .. قرب الموقد ، نشوى ..
تعانق الذكريات ..

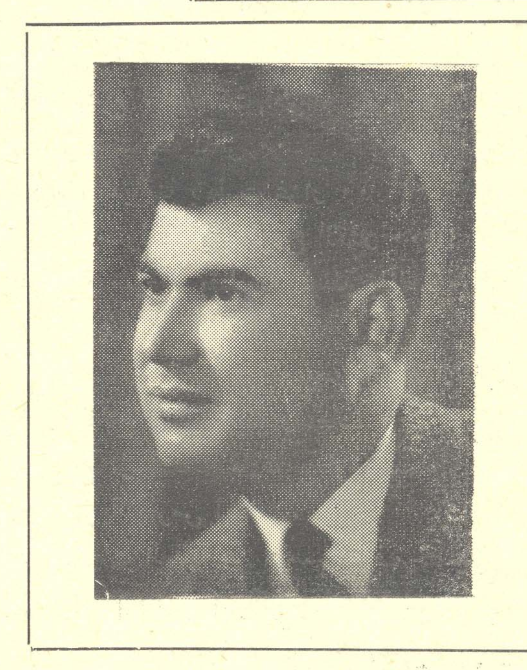
دمشق ـ اسماعيل عامود

من كتاب « أشعار من أجل الصيف » المعد للطبع

الياس صالح
شاعر الشباب والحرية
١٨٧٠ - ١٨٩٥

دراسات أدبية

بقلم : عيسى فتوح



ما زلت أذكر ساعة كان أستاذنا يدخل الصف وهو يردد على أسماعنا قصيدة (الحرية) لشاعر الكلية الشاب الياس صالح ، وما زلت أعجب بشاعر كان يتغنى بالحرية على المنابر ، أمام ولاة بني عثمان طغاة ذلك الزمن !.. شاعر شاب أحب الحرية علنا ، وظل مقيما على حبها لا يتستر خوف رقيب أو وال حتى مات ، دون أن تنعم عيناه برؤية شعبه حرا سيدا ، مات وهو في الخامسة والعشرين من عمره زهرة متفتحة في اشراقة نوار ، كما مات فوزي المعلوف ، والشابي ، وفؤاد سليمان ورامبو وغيرهم ..

ذاكم هو الياس صالح الذي ولد في بيروت عام ١٨٧٠ وتعلم في مدارسها ، ثم دخل الكلية السورية الانجيلية - الجامعة الاميركية اليوم - ليدرس الادب العربي ، فنال شهادة البكلوريوس عام ١٨٨٨ ، وفي حفلة تخرجه ألقى ملحمة (الحرية) التي ودع فيها أساتذته ورفاقه والكلية ، لينخرط بعد في ميدان العمل الصحفي ، ولينتقل من لبنان ، حيث الافواه مكمومة ، والرعب منتشر ، الى مصر مهاجرا مع من هاجر كجرجي زيدان ويعقوب صروف ، وانطون الجميل وداود بركات و ... لان مصر كانت تنعم آنذاك بقسط وافر من الحرية تحت ظل المماليك التابعين اسميا لدولة بني عثمان .. وفي مصر عمل محررا في جريدة (المقطم) وأتيح له أن يجهر بما كان يخشى أن يقوله سرا ، فارتفعت المقطم بقصائده ومقالاته أيما ارتفاع .

وقبل أن نرحل معه الى مصر لا بد أن نستعرض ملحمة (الحرية) التي بدأها بدءا تجديديا ، فيه ثورة على القديم ، ثورة على أولئك الذين كانوا يحرقون البخور في هياكل زينب وأمية ، ويحنون الى وادي الغضى ، وديار سلمى التي نبتت في مرابعها الاعشاب ، ورعت الآرام ، وتهدمت حجارة أثافيها السفع فيقول :

خل عنك الوقوف في دار ميه
واعتزل ذكر زينب وأميه
رحم الله كل من قال شعرا
في ربوع الاسلام والجاهليه
انما دارنا بمن شرفوها
عن سليمى وعن سعاد غنيه

ثورة على الشعراء الذين عميت أبصارهم عما يكابد شعبهم من ويلات ، ويحل به من أسر وشنق وتعذيب ، ونفي وتشريد ، وراحوا يتلهون بالرجوع الى القديم الذي انقطعت صلته بالحاضر كل الانقطاع ، ناسين أو متناسين الحرية المسكينة :

واتخذنا سلاسل الشعر قيد
ونسينا المسكينة الحريه !

صوت صارخ من الاعماق يستحث به شعراء الابراج العاجية ، ويدعوهم الى الهبوط ، الى الاقتراب من واقعهم، لينبهوا المشاعر النائمة ، والهمم الراكدة ، والعزائم المتراخية ، ليعبدوا الحرية ، ليحبوها كما أحب قيس ليلاه في زمن عز على المرء أن يدعي ملكية قلبه :

لا تلمني يا عاذلي بهواها
فأنا قيس هذه العامريه
وعلام الملام والقلب قلبي
ومعي فيه حجة شرعيه
فاذا كنت تدعيه فقدم
(عرض حال) للاعين التركيه

مسكين ذلك الانسان العربي الذي اصطلحت عليه السلطات العثمانية البغيضة ، تريد أن تمحو قوميته وتذيب لغته ، وتترك قرآنه ، وتطمس عروبته وتاريخه ، تريد أن تجعله وليد أضنه وازمير واستنبول وهو وليد دمشق وبيروت ٠٠ مسكين لقد نسي أنه حر ، فآمن بالعبودية ، وحسب أنها كل شيء في وجوده فلم لا يقول له :

أنت حر أيها المرء فاعلم
ولك العلم فيه والاسبقيه
أنت حر فاعلم بهذا واعلم
أنت حر وهذه أوليه
أنت فوق النظام ان تتبعه
ولأنت الذي وضعت الوصيه
ولكم قد رأيت من حيوان
يقضم الحبل بغية الحريه
يا بني قومنا ذوي الفضل بل يا
معشر الناطقين بالعربيه
لست عبدا أنا ولا أنت مولى
أيها اللابس الحلى الذهبيه
هكذا الناس أيها الناس طرا
ما لزيد على عبيد مزيه !

لا أعرف متى سيدرك المستعمر أن ليس لزيد على عبيد مزية ، وأن ليس له أي حق في أرض الجزائر وعمان والشرق العربي كله ٠٠

ولقصيدة الحرية حكاية يرويها الاستاذ الكبير مارون عبود فيقول : « كان ذكر الحرية يخيف السلطان عبد الحميد ورجاله ، وكان خطيب حفلة الكلية ـ الجامعة الاميركية ـ تلميذها المتخرج الياس هذا ، وكانت الحفلة تحت رعاية والي بيروت فقام الياس ينشد :

خل عنك الوقوف في دار ميه
واعتزل ذكر زينب وأميه

حتى اذا وصل الى قوله :

واتخذنا سلاسل الشعر قيدا
ونسينا المسكينة الحريه

تجهم وجه الوالي ٠٠ ولم يبق في استطاعته السكوت فقال : باسم جلالة مولا ناالسلطان أقول لك : قف !

فهب عندها رئيس الكلية متذكرا الامتيازات الاجنبية وقال : وأنا أقول لك باسم حكومة أميركا كمل !

وكان الشاعر أقوى بديهة من الوالي والرئيس فأتم كلامه مادحا جلالة السلطان ارتجالا دون أن يفلت منه خيط الموضوع ، وهكذا أنقذ الموقف ٠

ولكن هل تظن أن قصيدة الحرية تنتهي عند هذا ؟ كلا فالياس يفلسف الوجود ، ويدافع عن الانسان الذي وصموه بالضعف أمام شهواته ، وأنه بؤرة مفاسد ، ومجمع رذائل ٠٠ الانسان في نظر شاعر الكلية فوق هذا كله ، انه كتلة مناقب وفيض من مثل ، انه انسان الارادة ، الارادة التي تستطيع كبح المطالب الجسدية :

وزعمنا الانسان ذا شهوات
يمتطيها مهما تكن دنيويه
وهو زعم ان صح فالمرء خلو
من جميع المناقب الادبيه
أفلا تستطيع ، ان جعت ، قل لي
كبح تلك المطالب الجسديه ؟

ان الانسان الحقيقي هو من يستطيع أن يقهر شهواته ٠ ويجاهد نفسه ، ويحاكم ذاته ، ويسيرها في الطرق الخيرة المبدعة الخلاقة ٠٠ فيسمو الفن على الغريزة وينتصر الجمال على القبح ٠٠

ولكن ما ان ينجذب الشاعر الى هذا الموضوع الفلسفي البحت حتى يرتد ثانية الى الحرية ، وينكفىء ليقول للانسان مرة أخرى (أنت حر فتستطيع) ، أنت الذي خلقت أعمالك بنفسك ، انك مخير لا مسير ، انك طليق ولا يمكن لاي قوة جبارة في العالم أن تقف في وجه حريتك ٠٠ ان الحرية دور غنائي أو لازمة في معلقة الياس يتلذذ بتكرارها الحين بعد الحين :

أنت حر فتستطيع ومهما
قاومتك الطبيعة البشريه
ولكون الانسان يسأل عما
يمتطيه من الامور الدنيه
شاهد أنه مدى الدهر حر
يفعل الامر عن رضى ورويه

ان معلقة الحرية في نظري تساوي (روح الشرائع) لروسو ، وموسوعة ديدرو ، وجميع ما كتبه فولتير ومونتسيكو في الثورة الفرنسية ، انها وحدها دستور ثورة ، ولهي خير عندي من « المارسيليز » التي يتغنى بها الفرنسيون ، ويعتبرونها أنشودتهم الثورية الخالدة ، ورغم هذا فأكثرنا يجهل هذه القصيدة الطويلة ، كما يجهل صاحبها .

صحيح ما يقال أن الشاعر تخلده قصيدة ، فقصيدة الطيارة خلدت فوزي المعلوف ، والبحيرة خلدت لامارتين ، وقصيدة الحرية خلدت الياس صالح ، وكم من شاعر يقول الف قصيدة وقصيدة ولا يخلد ، ويمر في هذا الوجود كأنه لم يمر .. ويموت شعره بموته وان رفعته الف سلطة حاكمة ..

ان الفن يفرض وجوده ، والعبقرية لا تحتاج الى قرع الطبول ، بل ما أغفلنا اذ نحاول تسويد مشعر كسيح مشلول على صفحات جرائدنا ومجلاتنا .

وقبل أن أفرغ من بحثي عن شاعر الكلية لا بد من ذكر الجوانب الاخرى التي ساهمت في دعم شاعريته ، وجعلته شخصية فريدة في عالم الشعر القومي ، وقد أورد العلامة جرجي زيدان بعضا منها عندما تصدى لترجمته في كتابه (تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) فقال : « وكان – أي الياس صالح – قابضا على ناصية الالفاظ ، وعارفا اشتقاقاتها ومواقعها ، وأظلال معانيها ، فلا تسأله عن لفظ الا أورد سائر اشتقاقاته ومعانيه ، وأشار باصبعه الى موضع كل منها في الصفحة من القاموس .. وكان شاعرا مطبوعا ، يمتاز شعره ، مع الرقة والفصاحة ، بالسهولة والطلاوة ، لا يخلو له بيت من نكتة تدل على الذكاء والظرف ، وقد نظم ، على صغر سنه واشتغاله عن الشعر ، مقاطع رنانة جرت مجرى الامثال » .

آثاره :

مع أن شاعر الكلية كان مطبوعا ، الا أنه لم يترك لنا ديوانا ما ، انما كان ينشر شعره ومقالاته في جريدة المقطم ، وقد شاع بعض هذا الشعر على ألسنة الناس . غير أن جرجي زيدان اختار له أبياتا قليلة في موضوعات متفرقة منها أنه « نظم قبل مرضه بيتين كتبهما على بطاقة لخطيبته ، وفيهما اشارة الى ساعة أهداها اليها :

يامن دعاني حبه فأجبته
سمعا لما تدعو اليه وطاعه
تفديك روحي ان حبك راسخ
فيها قديما قبل هذي (الساعه)

ولعلك لاحظت معي اهتمام شاعرنا « ببهلوانيات » ذلك الزمان التي كانت تدل عن طول باع الشاعر في النظم وتعتبر علامة من علامات الفحولة ! صحيح أنه تمرد على القديم ، ولكن الاتيان بالمحسنات اللفظية ، كالتورية والنكات الشعرية ، والتاريخ الشعري و .. لم يكن في عرف المجددين دلالة على القديم ، لان القديم عندهم ما احتوى على ذكر ليلى وسلمى وأمية والاطلال والدمن والآرام والنؤي والخيمة و .. ولذا فلا غرابة أن تقع له على مثل هذه التورية في قوله (قبل هذي الساعة) ، وعلى مثل هذه النكتة الشعرية الظريفة :

ونحوية ساءلتها أعربي لنا :
حبيبي عليه الحب قد جار واعتدى
فقالت حبيبي مبتدا في كلامهم
فقلت لها ضميه ان كان (مبتدا)

بقي أن أذكر أن شاعر الكلية كان مطلعا على الآداب الاجنبية ، كيف لا وهو خريج الجامعة الاميركية ، فترجم قصائد انكليزية نظما ، كما ترجم جانبا من رواية (الاميرة المصرية) ونشره في مجلة (اللطائف) .

موته :

لم يمهل الداء الشاب المتوثب حيوية وانطلاقا ، فكانت صحته تتراجع يوما بعد يوم ، وهو ، مع ذلك ، ماض في العمل الصحفي المرهق ، يدفعه طموحه وعزم الفتوة الدافق ، لا يرتاح ولا يهدأ حتى وافاه الاجل عام ١٨٩٥ وهو عريس لم ينعم بالحياة الوالدية بعد .

دربي

شعر : سعاد محمد وقاف

وقفت على قمة عمري
وأطللت على دروب الحياة المتشابكة في كف الزمن
وتناثرت نفسي .. تناثرت بين تشابكات الدروب تبحث عن دربي ..
واقتطع البحث باقة من أيامي
ومزق الفناء باقة أخرى
باقة فترة رهيبة رحت خلالها أجمع أجزاء نفسي المبعثرة ..
ورأيتني بعدها أعود من جديد الى قمة عمري
والتأمت أجزاء نفسي من جديد تبحث عن دربي
ولكن .. بعد أن أغمضت عيني عن صورة الدروب المتشعبة في كف الزمن
وأضعتني بعدها .. لقد غبت وراء هالة باهرة من نور .
لقد عدت الى عالمي .. وراحت تتردد بين شطآن ذاتي حكمة أيامي
انني لن أجد شيئا موجودا من أجلي
سأصنع بنفسي كل ما يخص نفسي
فأين دروبي ؟ سأصنع اذن دربي
والآن .. أرأيتها ..
ان الف شذى لعبير يضمخ عالمها
تلك هي دربي
دربي التي خلقتها لي نفسي في مرابع ذاتي
والف لون من نشوة مبهمة السحر يضمخ أثير أجوائها الرحبة
وروحي .. انطلقت روحي الف طائر بالف نغم يتهادى بين آفاقها الكئيبة الطرب
وعيناي .. أسدلت عيناي الف شعاع باهر لألاء
ان عميق الاشعة المترقرقة بقطرات الندى

ليس الا لعينيك وعيني القدرة على الاشراق بها
ان اشراقا قدسيا هائل الابداع ، تطل به آفاق عيوننا نحن البشر
في دربي هذه انطلقت
انطلقت معها وهي تنبث في قرار كل نفس شاعرة
لا تكاد تداعب أهدابي نسائم أفراح الاولى ، حتى تجتاح كياني أمواج آلامها
فتحيلني كتلة من ألم بين كئيب شواطئها ..
وحلقت معها وهي تحلق مع كل روح وادعة القوة
حيث تحتضن النسور الجبارة صغير الحجل وضعيف الشحارير ..
ويركع الجبل الشامخ ليقبل الحجر الصغير المرمي على أقدام السفح
وكللتها .. كللت شطآن دربي بآفاقي
آفاق صفاء عذب عبق
آفاق حب مطلق عميق
فكيف لك أن تطلب الي أن أكره
وأي شيء أكره !؟
انني في دربي لا أستطيع تحديد مفهوم الكراهية
ان سعادتي في دربي يصنعها حبي لكل ما في دربي
ولكن .. ما هذا الذي يرتسم على صفحة وجهك من معالم الدهشة والتساؤل
تقول انني أتحدث عن السعادة التي تتدفق في أعماقي
ولكن ألف شراع من ألم يمخر عباب عيني
أجل .. ان في دربي الكثير من بحيرات الالم
فبين معالم دربي يهب الكثير من عواصف الكآبة البعيدة
ومشاعر خيبة طاغية كثيرا ما تلف نفسي المتعثرة في الاجزاء الموعرة من معالمها

العدد الماضي في الميزان

بقلم : معلّى الصارم

لم تكن هذه هي المرة الاولى التي أقرأ بها مجلة الثقافة ، فأمر على موضوعاتها ، وبصورة خاصة على قصائد الشعراء ، وسبحان الله فقراءة الشعر هواية طبعت عليها ، وحب يتغلغل في أعماق وجداني ٠٠ فعلى كل مقطوعة لي وقفة أطيل بها النظر ، وتحت ظلال كل قافية لي اقامة ، ومن خيال كل شاعر لي مشرب ، وكثيرا ما كنت تبدو لي عليهم ملاحظات أتركها لهم لعلهم ينظرون الى ذواتهم – ولو بعد حين – في مرآة أشرقت عليها أنوار الوعي ، فيدركوا ما حل بهم من الضعف وما عراهم من الغرور الذي أحكم على قلوبهم أقفاله ٠٠ ولكني عندما قرأت الاعداد الثلاثة من السنة الثالثة لهذه المجلة ، ووقفت مع الشعراء على مواضيعهم أغرق في هذا الروض بين أزهاره الندية التي مدها الخصب فابتسمت براعمها للنور ، وتلك التي جفاها الحيا فماتت وهي في المهد ٠٠ وعندما رأيت الافتيات على اللغة والشعر أقدمت على معاتبتهم بهذه العجالة بلسان الصديق وقلم الناقد ٠ واني وان لم أكن ذلك الاديب الكبير الذي يحق له الحكم على الشعر جيده ورديئه ، فاني الرجل الذي يتذوق عذوبة الماء ومرارة الدفلاء ٠ فالشعر رسالة يجب أن يبلغها حس رهف وخيال مبدع رسالة كسائر الرسالات يقوم بها أمناء عليها مؤمنون بحقها وعدالتها ٠٠ ورسل حفزوا ذواتهم للنهوض بأعبائها ونذروا أنفسهم لها ٠٠ يجمعون بين ألفاظهم ومعانيهم وأوزانهم وقوافيهم كنوز العبقرية ومظاهر الجمال ، فالشاعر هو الذي يحمل في خواطره وأفكاره الواحة الخضراء والنمير المتدفق ، ويبطن في نفسه الضحى والليل والشمس والقمر ، ويبعث من روحه المتوثب قوة آسرة تستعبد القارىء ، وقتا يتفتق من جوانبه السحر عمل على اخراجه العقل المبدع والخيال الخلاق ٠ وبهذا نعرف من صفت روحه لهذا الغرض الحي فترشفتها الطبيعة خمرا وعطرا ، وعقد اسمه على ناصية الخلود ٠٠ وهكذا فليكن الشعر وحيا حقا ورسالة صادقة وبيانا واضحا ، لا كلاما مصفوفا أو قافية خلاء ورويا لا حياة فيه ٠ وكهذا فليكن الشاعر مبدعا ومصورا ورسولا ٠٠ وكل ما أرمي اليه في هذا البحث ما ترمي اليه الايدي الجارحة للورد تهذبه وتملأ راحها من عبقه ٠٠

لقد قرأت مقطوعة الاستاذ أحمد رامي وهي التي رأى بها كل قارىء ما رأيته من رداءة التفكير وضعف التصوير فأنزله من عين اعتباري كشاعر معروف بجودة تعبيره ومتانة تركيبه ٠ لما فيها من تجاوز في اللغة وبعد عن الفن ٠

وأعاصير ألم متأجج تهب معربدة ثائرة لتعتصر روحي فتلقي بها حطاما ممزقا بين صخورها

وبين القمة والسفح ، أمسيت طائرا صغيرا في جنون أعصار ثائر لا يكاد يقذف بي الى القمة ، حتى يعود فيردني الى صخور السفح بجناح منهك تغمده الدماء

ومرات ومرات وقفت بعد عناء مرير لالتقط أنفاسي ، وموجات يأس عارمة تكاد تحطمني لتلقي بي شلوا ممزقا بين مواطىء الاقدام اللامبالية

وهكذا لا تكاد البرهة تحتضن البرهة ، الا وترى نفسي تستحم آلاف المرات في بحيرات آلام دربي ، واليك البقايا الكثيرة لمعارك آلامي ، ترتسم على تلك الكتلة من اللحم والدم ، التي تلقي بها نفسي في ميادين بناء أهدافي

أما في ذاتي ٠٠ فألف ألف جرح عميق يعربد في ذاتي ٠٠ ولكن ما ان يقذف الدهر برهة الى فم العدم ، حتى تراني أعود فأرمم ما تهدم ٠٠ أجل ما تهدم من نفسي ٠٠ ان ترميم النفوس أهون الف مرة من صنعها

ولكني رغم كل هذا سعيدة مع آلامي ، سعيدة في معاركي المريرة ، سعيدة في كل ما تقذفه دربي أمام نفسي السائرة حتى النهاية ٠٠

فالدرب دربي ، وأنا التي خططت معالمها على كف الزمن ٠٠

فلتنطلق أصداء ضحكاتي وآهاتي ، صوتا غريب اللحن يتعالى بين آفاق دربي الصاخبة الالوان ٠٠

لقيتك بعـد نـأي واشتيـاق
ولـم أك عالمـا أين التلاقـي

عالما : اسم مشتق من علم وهي تتعدى بالواسطة أو مباشرة كقولنـا علمت بالامر أو علمت الامر والبيت خال من كل أنواع الجمال اللهم الا ما كان في (أين) التي ينبو عنها السمع ويبرأ منه خاطر كل شاعر . ولقد كان يجدر بهذا اللقاء - على ما بين الصديقين من حب وشوق وهجر وقطيعـة - أن يكـون كلقـاء أبي الطيب المتنبي :

لقيت بدرب القلـة الفجر لقية
شفت كبـدي والليل فيه قتيل

أما العبرة ففي قوله :

وكنت أهيم في دنيـاك علـي
أراك تلـوح في ظـل المآقـي

المآقي جمع مؤق وهو مقدم العين مما يلي الانف .. فهل يسمح سيادته بشرح هذا البيت ولا نكلفه شيئا آخر !! لكأني بوجه البيان قد قطب لهذه الاستعارة ولهذا التصرف الساخر الذي جاء من شظايا تقيؤ القدر المحموم .

وقيل أتـاك فانهض واستبقـه
الى الفـم المرجـع والعنـاق

رحم الله سيبويه وأئمة اللغة .. لقـد ماتوا على ضلالهم فلم يعرفوا أن استبق بمعنى سبق ولذلك ولم تأت في كتبهم الا للثنية كما في الكتاب الكريم (واستبقا الباب) أو الجمع كما يقال (استبقوا اليه جميعا) والمرجع اسم مفعول من رجع الصوت ردده في حلقه وهي خلاف أرجعه بمعنى رده وو . الخ ..

واليك نفحة جديـدة من الشعر النسائي العاطفي (لغادة سلهب) .

ولقـد أتيت مثارة الاشواق
يا ليل فاحضن لوبة المشتـاق

يبدو لك البيت لاول وهلة جميلا من ناحية ألفاظه، ولكنه عندما يمد الذوق اليه أنامله لا تقع منه على شيء. ولو سألنا الاخت الشاعرة عن الضمير في (أتيت) الليل أم لك أم لي أم لمن ياترى ؟! وأي فائدة في هـذا البيت لها أو للمجتمع .

أما القصيدة مجموعة ألفاظ لطيفة كروح الشاعرة ظامئة كعاطفتها ، حائرة كنفسها في ليلها .. وطبعا فهذه صفات من تيمه الحب واستعبد شعوره وأضرم أحاسيسه، ولكنها مع هذا غير بعيد سطوع نجمها فيما اذا تخلت عن هذا الوجد المستعر قليلا .

وأما (مغامرة) للسيدة خديجة أرناؤوط فهي غير مفتقرة للتعريف لانها تدل من ذاتها على ذاتها لما فيها من كرم منقطع النظير . فالشاعرة لا تضن على مريدها بأنفس مـا لديها - والجود بالنفس أقصى غاية الجود .. اقرأ معي اذا شئت هذه الفقرة من قصيدتها .

شوق ملح صارخ في ناظريك
أحرقتني
وبساعديك شددتني
وبمرفقيك هصرتني
وكأنني جزء لديك

ولا بد أنك بعد قراءة هذه الفقرة وحدها تستطيع الحكم على القصيدة بأجمعها وعلى الشاعرة أيضا ، والعطر عن الورد ينم . وهكذا تمضي الشاعرة في قصيدتها مليئة بالاسراف .. ففي الجود اسراف ، وفي التقبيل اسراف ، وفي الخجل افراط واسراف ، ولكنها لا تلبث أن تنضرم هذه الرغبة الملحة في نفسها فتنسى كل ما سيقال وكأنها تعلمه ..

أنا لا أخاف ..

فلتهترىء هـذي الشفاه . - الى قولها وضممتني جسدا يذوب وو . الخ ..

واعتذر للشاعرة عن اعادة قصيدتها فعقرب الساعة يشير الى الثانية عشرة والنصف وهذا الصوت الحق يرن في مسمعي للصلاة لعلي أغسل ما علق بي من حوباء ما قرأت .

وتنهمر سحائب هذا الشعر الطليق فتصيب الا من رحم ربك . واذا بالصحف جميعها الادبية وغيرها تحمل على صفحاتها كل يوم وفي كل عدد هذا النوع من الشعر الـذي ألفه الكثير من الشعراء . فيطل سيادة الدكتور بديع حقي بمقطوعة لطيفة بعنوان (غفوه)

واني وان لم يكن هذا النوع من مذهبي لارى فيها تصويرا ناعما لحالة مأخوذة بالنعاس يمطلها النوم فهي دائما بـين التهويمة والغمض ، وعلى أجفانهـا المختلجة يرف حلم واه ضعيف .

وتصحو وتغفو
ويمتد هدب سخي ظليل
وينحو ويهفو
على خفقه السمح ، حلم نحيل ..

وهكذا يمن الدكتور في أجواء الطبيعة الهادئة يجمع من صورها مـا شاء لـه خياله فينعكس على مرآة نفسه الصافية شعر لا يقيده وزن ولا تربطه قافية ، كان نظيما

عند تصويره اياه في خياله ، حتى عبثت به أيدي أوهامه انفرط حطاما على صخرة وجده المستعر ٠

فهل قرأت (ديوان سحر) للدكتور بديع ؟ هل لاحظت مدى تعبيره عن أغراضه ؟ هل رأيته وهو يعزف ألحانه على أوتار قلبه الممتلىء بالاحاسيس والشعور ؟ هل وقفت على روائعه في ديوانه ؟ لا بد أنك تحكم معي اذن على أن شعره هذا ليس من ذاك ٠٠ فاما أنها كبوة كباها الدكتور ، واما أنها لحظات قليلة قضاها بالتسلية عندما كان يداعب قلمه بين أنامله ٠

الشعر العربي الاصيل :

هذا الشعر الذي سميناه الرسالة وسمينا قائله الرسول ٠٠ ولا شك أن الاستاذ نديم محمد أحد مبلغي هذه الرسالة التي ألمعنا اليها آنفا ، حملها عن عقيدة وايمان وبلغها بأمانة واخلاص ٠٠ فلقد رأيناه في سائر شعره وقد ارتسم أرق صور الطبيعة وأصفاها في نفسه ٠٠ فأي معنى من معانيها لم يكتشفه ابداعه ؟! وأي خفي من كنوزها ما تناوله تفكيره ٠٠ لقد غنى الاصيل انغام حبه حتى توردت وجنتاه ، وسقى النبع خمرة ألحانه حتى سكر الماء وجن الصفصاف وارتوى الظل ، وتأرجت عطور الشرق من نغماته ٠٠ فرثاؤه نبرات كبره ، ودموعه دفقات ابائه ٠

يعذب السم في النفوس ولا تعذ
ب فيها الاطاعة العمياء

والذي تستعذب السم نفسه هو هو الذي يثور للكرامة المؤودة في أيدي مدعي الدفاع عنها ،

وأدوا الكرامة واحتموا بقميصها
وأتوا عليه بالدم المكذوب

يسع الحياة الناس الا قابعا
في الوحل يمسح وجهه بالطيب

والبيت في ظل الآية الكريمة (وأتوا على قميصه بدم كذب) وفيه لطف التورية بقصة يوسف عليه السلام ٠

اقرأ معي يا أخي الاديب هذه القصيدة ، بل هذه الابيات التي تتجلى لك فيها لك ثلاث شخصيات كبيرة تعودنا أن نراها دائما في شعر نديم ٠٠ شخصية الشاعر الفنان الذي يزين شعره بكل أساليب الجمال وفنونه ٠ وشخصية الثائر الذي يعرف حق الدفاع ٠

(اطعم يمينك للهيب عداوة
وانظم شمالك في نيوب الذيب)

وشخصية الرجل الابي الذي لا تلين قناته الخطوب ، ولا تنال من عزته الدهور ٠

وأضرب جبين الشمس ان تأنس به
كبرا عليك بأبيض مشطوب

حق الشهادة أن تجر ذيولها
حمراء بين تنوفة وكثيب

والمجد أفتن ما يكون قنيصة
علقت بحمر مخالب ونيوب

وكذلك الشعر يا أستاذ نديم : فهو أفتن ما يكون قصيدة من هذا النوع تنبع من طبع عربي أصيل٠ وأخيرا لا بد لي من القول : أن لا خوف على الشعر ما دام من حملة رايته الاستاذ نديم محمد وأفراد معه قليلون ٠

* * * *

التميمة .. والقطيع

قصة بقلم : جان الكسان

ماتت التميمة في صدره .. فتناثرت ملاقط شعر المرأة الرخيصة على الوسادة والفراش .. ورسم ملاك ، ثيابه بيضاء ، نقطة سوداء في السفر الكبير ..

- ١ -

عندما كان راكبا قصبة في الطريق الترابية الممتدة الى جانب النهر الشتوي بين بيوت القرية وعرزال أم نايفة ، عثرت قدمه بحجر منغرس - الا رأسه الاعلى - في الارض ، فرمى القصبة جانبا وجلس على الارض يصرخ باكيا وهو يحدق بفزع طفولي الى الدم المنثال يغسل التراب عن ابهام قدمه .

وما لبث أن حول بصره يقيس المسافتين ، فوجد أنه أقرب الى العرزال منه الى البيوت ، فركض متألما ينقل قدميه العاريتين بعرج ملحوظ يمسح بطرف ثوبه الدمع المختلط بالعرق عن وجهه .

رأت قدمه أم نايفة فتركت زنبيل البصل الذي بين يديها ، ودقت صدرها بقبضتها مذعورة ، ثم أسرعت فأتت بماء وصوف وعلبة ثقاب ، غسلت الابهام الجريح بالماء ، ثم حرقت شيئا من الصوف ، حتى اذا أصبح كتلة هشة ، وضعته على الجرح ، ثم نادت ابنتها نايفة لتحضر من الصندوق لفافة الشاش التي كانت سيارة الصحة قد أعطتها لزوجها منذ شهور .

لا ينسى عواد أبدا ذلك اليوم ، كأنه يرى فيه نايفة لاول مرة ، كأنه لم يرها أبدا بالثوب الزاهي والضفيرتين الذهبيتين الطويلتين ، والخف الاحمر المقصب ..

كانت نايفة تنظر الى الجرح باشفاق ، وأحس هو أن في نظراتها شيئا حلوا ، جعله ينسى ألم الجرح ، ويشعر بقلبه يثب في صدره ، يرقص .. وعندما ركضت الى الغرفة التي خلف العُرزال لتأتي بخيط تربط به أمها الشاش ، خاف عليها من كل قلبه أن تسقط ، أو أن تعثر قدمها برأس حجر منغرس في التراب .

وتمنى لو أعطاها أشياء كثيرة ترضيها ، لو كان لديه مال كثير يذهب به الى المدينة ويشتري لها من هناك كل شيء .. قالوا له ان في المدينة أشياء جميلة ، وهو لا يعرف أين هي المدينة . وليس لديه مال ..

ولكنه عاهد نفسه على أن يسرق لها - في أقرب وقت - من حقل الحاج مناور عودا طويلا من قصب السكر ، بطول باب العرزال ، ولو ضربه عبود الاعور حارس القصب .

- ٢ -

مواسم خيرة تتتابع .. حبات الزيتون المباركة منعقدة في الاشجار كجموع العشاق .. أهازيج كثيرة تملأ القرية .. الفرحة في العيون ، في القلوب .. في الاقدام .. في حلقات الدبكة .. في انعقاد الخناصر .. في دوران المعصرة العتيقة التي تقاوم السنين وهي تدور ، وتدور ، وتدور ..

ويقول عواد لنايفة : تعالي ندبك ..

ويتعانق خنصراهما ويشتركان في الحلقة .. تتبدل نغمات المزمار .. وتتلاحق دقات الطبل ، وتحيط الاذرع السمر بالخصور ، وتحس نايفة خدرا لذيذا يسري في أنحاء جسدها المتفتح ، وتنداح في حلم جميل من أحلام يقظتها ، تنسى معه خطوات خفها المقصب ، وتعيش في عرس دافىء ، دافىء .. زغاريد .. مزامير .. ذبيحة مسمنة تنحر .. ثوب المخمل الازرق ينساب حتى كاحلي قدميها ، وهي الى جانب عواد فخورة ، تلتهمهما عيون صديقاتها فرحة ، حاسدة .. وتبكي هي ، سعيدة ، ويختلط الكحل ببياض البودرة ، ويمسح خديها بخطوط سوداء .. هذا ما حدث لعماشة أيضا يوم زفت الى ذنون .. كان عليها ألا تضع الكحل .. عيناها كحلاوان بطبيعتهما .. أمها تقول لها دائما : ولك تقبريني يا نايفة على هالعين الكحلا ..

وتعود نايفة الى واقعها عندما يصمت المزمار وتتوقف ذراع حسين عن ضرب الطبل ، فيشد عواد على ذراعها بحنان ، وتذهب الى فراشها تلك الليلة ودفء أصابعه القوية يهدهد خدها الذي أسندته الى ذراعها وغفت حالمة .

- ٣ -

موسم آخر يأتي .. الغلال طيبة والاهازيج تملأ ساحة القرية ، والمعصرة لا تزال تدور ، وعواد يسترق السمع الى حوار بين والديه :

قال أبوه : الولد كبر يا خضرة ..

فترد أمه : صلاة النبي أحسن .. الله يديمك على رأسنا يا أبا عواد ..

ـ أنا أفكر في أمر زواجه .. ما رأيك ؟

ـ الرأي رأيك يا ابن عمي .. ولكن ألا يزال صغيرا ؟

ـ ابن سبعة عشر عاما ليس صغيرا .. كنت بعمره عندما تزوجت .. كيف رأيتني ؟.. بذمتك ؟.. ألم أكن رجلا كاملا ؟..

ـ وهل تذكر أنك ضربتني ليلة العرس ؟

ـ المثل يقول : اقطع رأس القط من ليلة العرس .. الحاصل .. ما لنا ولهذا الحديث .. الدنيا تبدلت الآن .. من تختارين من بنات القرية عروسا لعواد ؟..

ـ والله عواد أمير.. صلاة النبي أحسن ، ويستأهل

ـ ما رأيك في بدور ؟..

ـ والله انا قلبي يلهلف لنايفة بنت بكر المهاوش..

ـ ليكن هذا .. نايفة حلوة ومؤدبة .. وأبوها رجل طيب .. وأغنى واحد في القرية ..

ـ اتفقنا ..

ـ حتى ينتهي الموسم القادم ونبيع الزيت يا أم عواد ..

ـ أحس عواد ـ وهو يستمع ـ بشيء يثب في صدره ، يرقص .. الشعور نفسه الذي أحسه يوم جرحت قدمه بحجر الحقل ، وركضت نايفة الى الغرفة الطينية تجلب لامها خيطا تربط به الشاش الذي لفت به ابهامه الجريح .

ـ ٤ ـ

الوقت أصيل .. الشمس تميل الى خط الهاجرة ، غير حزينة ، في أشعتها وداعة وعلى جبينها وعد بشروق قريب .. وفرحة عارمة تكبر في صدر عواد .. وتكبر ، حتى يهم بأن يقبل حبات التبن االتي تفرش الارض ، وأشجار الزيتون الكثيرة ، حتى الدابة التي تدور حول الغراف معصوبة العينين .. أحلامه كلها ربيعية ، حقولها وسيعة وعطاؤها كريم ..

وتأتي نايفة ، تقفز بين الاشجار كغزالة رشيقة ، ثم تقف أمامه ورمانتا صدرها تفضحان خفقات قلبها ..

وتمر لحظات يحرك بعدها عواد لسانه في حلقه الجاف ثم يسألها بلهفة : ألم يرك أحد ؟ فترد : لا .. قطعت طريق النهر عند العرزال ..

وتمتد فترة صمت تقول نايفة بعدها : أنا لا أخاف الناس اذا كنت الى جانبي يا عواد ..

وتلتمع عيناه بسعادة ثم يرتمي السؤال من شفتيه خجلا حارا : تحبينني يا نايفة ؟..

ـ أي والله يا عواد .. أحبك ..

ـ أنا أحبك من زمان يا نايفة .. يوم كنا في سن الطفولة .. وحبك بقلبي مثل الحجاب حتى آخر يوم من عمري ..

وتدور نايفة في المكان ، ثم تقطف عودا من الزعفران تقدمه له وتقول : هذا شاهد حبي يا عواد .. احفظه عندك ..

فيأخذ العود وهو يقول بجذل : سنكون زوجين سعيدين يا نايفة ، وعسى أن يكون موسم الزيتون هذا العام طيبا لاقيم لك عرسا ـ وهذا نذر علي ـ لم تشهد مثله القرية أبدا ..

ـ ٥ ـ

مات الزيتون ..

في صباح يوم ثلجي من كانون .. استيقظ أهل القرية من النوم ليجدوا غابتهم الكريمة الخضراء أعوادا يابسة من الحطب .. فأعولت النساء ، وتحجر الدمع العصي في عيون الرجال .. وماتت الفرحة في كل الوجوه.

ولاول مرة ، منذ سنوات بعيدة ، حل موسم القطاف بلا دبكات ، ولا أهازيج ، ولا أحلام ، ويبست عروق المعصرة العتيقة ، وجمع أبو نايفة ما لديه من مال مجمد وديون ، ثم شد الرحال مع زوجته وابنته الى المدينة ، وراح عواد يقضي أكثر يومه وهو يقطع الاشجار ، شموع أحلامه ، ليبيعها الى تجار الحطب يشحنونها الى المدينة الكبيرة التي سرقت منه نايفة ، ولم تبق له منها سوى أصداء بوح متبادل بينهما شهدته شمس أصيل ، وعود من الزعفران لا يزال لديه تميمة مقدسة .

ـ ٦ ـ

أنياب الفاقة تعض القرية المنكوبة ، والاذرع السمر التي كانت تحمل غلال القطاف ، وتدير المعصرة ، وتخاصر الفتيات في الدبكة ، تعبت من قطع الاشجار وحراثة أرضها ..

عواد يجلس على الارض مع أهله حول صينية طعام فقير ، يفكر بأسى ، ويمضغ اللقمة اليابسة بلا رغبة ..

وفجأة يقول له أبوه : اسمع يا عواد .. أنت اليوم رجل البيت ، ولهذا أريد أن أستشيرك في أمر . ثم أردف يقول : أنت تذكر طبعا أبا نايفة الذي هجر القرية في العام الماضي .. فيهز عواد رأسه بالايجاب دون أن يرد ..

فيستطرد الاب : لقد أصبح صاحب محل كبير في المدينة ، وفقه الله وأصبح يسكن بيتا جميلا ولديه سيارة خاصة به ، وقد بعث بالامس مع سليم بن خضر المطاوع يقول انه بحاجة الى فتاة صغيرة من بنات القرية تساعد أم نايفة في البيت لقاء مئة ليرة في الشهر ..

فيرد عواد : وما شأننا نحن بهذا الامر ؟

فيجيب أبوه بلهجة هادئة مؤثرة : منذ أن يبس الزيتون يا ولدي ونحن نكافح الارض ونموت كل يوم

ونحن على أقدامنا ، فلماذا لا ترسل أختك فاطمة ، ان أم نايفة سيدة طيبة ، وستعاملها معاملتها ابنتها ، أنا متأكد من هذا .

ويقوم الوالد الى صندوق صغير في كوة الجدار يخرج منه ليرتين ذهبيتين يقدمهما لابنه ويقول : آخر ما بقي لدي ٠٠ كان أبي يقول لنا : احفظ قرشك الابيض ليومك الاسود ، فجمعت شيئا من المال ذهب كله الآن ، وبقي يومي أسود ٠٠ خذ يا عواد هاتين الليرتين وسافر أنت وأختك مع سليم يوم الاربعاء ، وهو سيدلك في المدينة على بيت ابي نايفة ، وعندما تصل بلغه جزيل السلام وقل له باسمي انك بحاجة لمساعدته في ايجاد عمل لك بالمدينة ، واشتر بالليرة ثيابا لاخوتك ، أرسلها مع سليم ، واصرف أنت الباقي ريثما تجد عملا ٠٠ كافح أنت هناك ، وسأكافح أنا هنا ، والله كبير يا ولدي ٠٠ انه لا ينسى عبيده ٠٠

— ٧ —

لم تكن صورتها مهزوزة القسمات رغم زجاج نافذة السيارة ، وما تراكم عليه من غبار الطريق .

صورتها المرتكزة على خط الافق تملأ عينيه وتدفع الى ساح شعوره بالذكريات ، ما أتت عليه الايام ، وما ظل في الاعماق جمرة كاوية .

جميلة ٠٠ جميلة ٠٠ بالثوب الزاهي ، والضفيرتين الذهبيتين الطويلتين والخف الاحمر المقصب ٠٠ وتكبر القامة ، فاذا هي صبية حلوة ، وصدرها ناهد ، وعيناها كحلاوان ، وثوبها الطويل يعانق خصرها وينسدل حتى كاحلي قدميها ، وتمحي الصورة ويحاول عبثا أن يراها في وضعها الجديد ٠٠

ولكن الصورة الجديدة بدت ضبابية مهزوزة ، وكاد أن يلكز سليم الذي استغرقته اغفاءة ليوقظه ويسأله : هل نايفة تعري صدرها وذراعيها مثل بنات المدينة اللواتي حدثتني عنهن ؟

ولكن أخته فاطمة التي دارت برأسها الصغير دوخة وهي تركب السيارة لاول مرة ، أفرغت ما في جوفها على ثيابه ومقعد السيارة ، وشغلته عن دنيا تصوراته .

— ٨ —

لم يخب أبو نايفة ظن والد عواد به ، فجعل ابنه عاملا في محله هو ، وأعطاه وأخته غرفة في قبو الدار ينامان فيها ٠٠

وبدأ عواد يعيش في قبو المدينة قدره الجديد ٠٠ منذ الساعة الاولى التي دخل فيها الدار خنق النور المتدفق من ذراعي نايفة وصدرها أعصاب عينيه ، وأصبح لا يطيق المكوث في البيت بعد انتهاء عمله ، فيخرج هائما على وجهه في المدينة الكبيرة فتشيع جلبتها في كيانه ، ويدور كالأبله في دوامة الصخب والسيارات وقطيع القامات يزحمه على كل رصيف ٠٠

وتأكد بعد هذا أنه لم يكن في الدنيا ، وأن حدود معرفته التي كانت تقف شرقا عند اطار أشجار الحور المستطيل ، وغربا عند قرية الوردية ، كانت حدودا ضيقة ، ضيقة جدا ٠٠

على أنه لم يتصور أن المدينة تنزع القلوب من صدور الوافدين اليها وتضع بدلا عنها قلوبا أخرى ، والا لماذا نسيت نايفة أنها أهدته عود الزعفران يحمله في صدره تميمة حتى يموت ؟

ولم تطل حيرته ٠٠ عرف السبب بعد أيام قليلة من وجوده في الدار ، وأحس بألم كبير يعتصر فؤاده ، وهو يرى نايفة تتنقل في الصالون بين أذرع شبان غرباء يراقصونها ، وأبوها ٠٠ أبو نايفة الذي كان سيذبحها على عتبة الباب لو رآها مع عواد قرب الغراف ، يضحك ، ويصفق ، ويشرب من الكأس سائلا أحمر ، بينما أمها في غرفتها تندب ضياع ابنتها وزوجها في هذا القطيع دون أن تستطيع أن ترفع صوتها باحتجاج ٠٠

كم تمنى عواد لو أنه لم يأت ٠٠ لو أن أباه لم يقترح ارسال فاطمة ، ولكن ، هل يستطيع أن ينسحب الآن ؟ ٠٠ هل يترك نايفة لهؤلاء الشبان ؟ ٠٠ هل يتركها لعادل ، كم يكره عادلا هذا ٠٠ كم يتمنى لو رآه يوما قرب الغراف يحاول أن يتصدى لنايفة ، اذن لفصل رأسه عن جسده بالفأس ، ولدفنه في حفرة ، وداس على قبره ثلاث مرات ٠٠

ولكن ، ماذا يستطيع أن يفعل ؟ ٠٠ التميمة في صدره ، واخوته الصغار بحاجة الى ما يرسل الى والدهم من مال ، وفاطمة بحاجة لرعايته ٠٠

— ٩ —

قال له ديبو سائق سيارة ابي نايفة يوما وقد توطدت بينهما أواصر الصداقة : لماذا أنت تعيش بعليا ؟

لم يفهم قصده ، فسأله يستفسر عنه ٠٠ فقال : أقصد لماذا تعيش بدون نساء ؟ اذا كنت تستطيع أن تستغني هذه الليلة عن ست ليرات ، فأنا سآخذك الى مكان فيه نساء جميلات عاريات ٠٠

شعر عواد بأن العروق انتفضت في كفه الايمن وبأنه يجب أن يصفع صديقه السائق لولا أن تمالك أعصابه في آخر لحظة ، واكتفى بأن قال له : اذا أردت أن نظل صديقين ، لا تفاتحني بمثل هذه الامور مرة ثانية ٠٠

فرد ديبو : فلاح ٠٠ لا فائدة من محاولة تمدينك .

— ١٠ —

مساء اليوم نفسه ٠٠ الساعة العاشرة ليلا ، لم يبق على الموعد سوى ساعة واحدة ٠٠ ان نايفة تنقل

الهاتف لغرفتها كل ليلة ، وتبدأ في الساعة الحادية عشرة مخابرة لم يسمع منها سوى الهمس والغمغمة وهو يقف دقائق أمام باب غرفتها يرهف السمع ، ثم سرعان ما يهبط الى القبو خشية أن يراه أحد أهل الدار في مثل هذا الموقف .

هذه المرة فعل شيئا جريئا .. دخل غرفة نايفة وهي في الحمام ، وتمدد على بلاط الغرفة تحت سريرها ، وعندما جاءت من الحمام وتمددت على السرير بكى .. وعاتب السماء من مكانه عتابا مرا .. لو أن السماء ترفقت بأشجار الزيتون ، لو لم تقتلها ، لكان الآن ينعم ونايفة بدفء فراش واحد في الغرفة الشمالية التي كان سيبنيها في داره بالقرية ، لتكون غرفة عرسه .

تلاحقت دقات قلبه مع صوت أرقام قرص الهاتف تدور ، ومرت لحظات ، وبعدها ، بدأ عواد يعيش تمزقه العنيف ..

عرف أن عادلا على طرف الخط الثاني ، هي قالت « حبيبي عادل » .. وهي حملت الاسلاك اليه قبلات كثيرة ، وهي قالت له انها كانت في الحمام ، وتمنت لو كان معها ، وهي ، هي نفسها جاءت يوما تقفز بين أشجار الزيتون كغزالة رشيقة ، ثم تقف أمامه ورمانتا صدرها تفضحان خفقات قلبها ، وتمر لحظات يحرك بعدها هو لسانه في حلقه الجاف ، ثم يسألها بلهفة : ألم يرك أحد ؟

فترد : لا .. قطعت طريق النهر عند العرزال ، وأنا لا أخاف الناس اذا كنت الى جانبي يا عواد .. وتلتمع عيناه بسعادة ثم يرتمي السؤال من شفتيه خجلا حارا : تحبينني يا نايفة ؟

– أي والله يا عواد .. أحبك ..

فيقول : انني أحبك من زمان يا نايفة .. يوم كنا في سن الطفولة ، وحبك بقلبي مثل الحجاب حتى آخر يوم من عمري ..

وتدور هي في المكان ثم تقصف عودا من الزعفران ، تقدمه له وتقول : هذا شاهد حبي يا عواد ، احفظه عندك .

فيأخذ العود وهو يقول بجذل : سنكون زوجين سعيدين يا نايفة ، وعسى أن يكون موسم الزيتون هذا العام طيبا لاقيم لك عرسا لم تشهد مثله القرية أبدا .

– ١١ –

مكنسة فاطمة هي التي أيقظت عواد من النوم صباحا ، كادت المسكينة أن تطلق صرخة تملأ البيت عندما رأت أخاها ممددا على البلاط تحت السرير في غرفة نايفة ، ولكنه حذرها من الصياح ، ثم ترك الغرفة ونزل مسرعا الى حيث يستقل أول باص الى مكان عمله بعد أن أوصى أخته بألا تحدث أحدا بالامر ..

وفي المحل حاول عبثا أن يستغرقه العمل .. كانت دوامة حكايته التي انداح فيها منذ أن تحركت اصبع نايفة تدير القرص ، قد استنفدت كل طاقة له على التفكير في أي أمر آخر .. حتى في أمر أمعائه التي يمزقها مغص حاد علل أبو نايفة أسبابه بأن اللحاف ربما ارتمى عنه أثناء نومه فتعرض لبرودة الليل .

– ١٢ –

عود الزعفران لا يزال تميمة في صدره ، ونايفة مندفعة في حياتها الجديدة بنهم ، وديبو السائق يلمح له بين حين وآخر بحكاية النساء الجميلات العاريات ، ويقول ان الرجل ينسى عندهن كل هموم الحياة ..

ويسأل عوادا : أحقا انكم في القرية تؤمنون بأن الانسان اذا عاشر امرأة بغير طريق الحلال يضع له ملاك ثيابه بيضاء النقاط السود في السفر الكبير الذي بالجنة .. ان أمي تؤمن أيضا بهذا ..

وتقول أم نايفة تخاطب عوادا : الله يرضى عليك يا عواد .. اذهب الى المسبح الكبير ، وراقب نايفة هناك ، نايفة مثل أختك يا عواد .. وأنت يجب أن تكون حارسها الامين دائما .. أبوها ضاع ، أعمت المدينة عينيه ، خسرنا الايمان وراحة البال ولا نريد أن نخسر البنت ..

أمام المسبح كان يقف حارس صارم التقاطيع لم يسمح لعواد بالدخول ، فسار يدور حول المسبح حتى اهتدى الى فكرة .. لم يتردد .. صعد سور المسبح وتعلق بالجدار ، ثم زحف عليه حتى وصل سطح غرف تبديل اللباس .. وهناك راح يحدق في الاجساد باحثا عن جسد نايفة بينها ..

كان ساقاها ملتفتين حول رقبة عادل ، وهي جالسة على كتفيه يسير بها في ماء المسبح ، ويهددها بأنه سيغرقها ..

« خسرت البنت يا أم نايفة ، وخسرتها أنا أيضا ، أصبحت واحدة من القطيع ، لا فائدة من الثورة ، لا فائدة من القفز من هذا المكان ودق عنق عادل .. الشاة في المسلخ ، والحارس الذي على الباب صارم التقاطيع » .

– ١٣ –

في الطريق ، بين المسبح والمدينة ، وعواد منزو قرب النافذة في آخر الباص ، كانت الصورة ، صورة نايفة واضحة العري ..

أما أضلاعه فقد أصبحت حبلا غليظا طويلا ، سرعان ما أبت فيه روح أفعى زحفت الى حيث يرقد عود الزعفران الصغير .. وعندما مرت السيارة التي تقل عادلا ونايفة تسبق سيارة الباص ضاجة ساخرة ، ماتت التميمة في صدر عواد .. فنزل من الباص يبحث عن ديبو ..

وتناثرت ملاقط شعر المرأة الرخيصة التي استقبلته على الوسادة والفراش ، ورسم ملاك ، ثيابه بيضاء ، نقطة سوداء في السفر الكبير .

دمشق – جان الكسان

بكين الجديدة

بقلم : وانج سج - فو

كانت بكين ، المدينة العظيمة ذات الشهرة العالمية عاصمة ست سلالات مالكة اقطاعية في الصين القديمة ٠ لكنه لم يكن في امكان أي من هذه النظم أن تدخل تغييرات ضخمة على هذه العاصمة القديمة مثل النظام الحاضر ٠

كان من نتيجة الانتصارات المتتالية لثورة الشعب الصيني أن تم تحرير بكين سلميا على يد جيش التحرير



أحد الشوارع العامة في بكين

الشعبي في صبيحة اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الثاني من عام ١٩٤٩ ٠ كان دخول جيش التحرير الشعبي بداية عهد جديد في تاريخ المدنية ٠ وأصبحت قلعة حكم الاباطرة الاقطاعي والملاكين والبرجوازيين عاصمة لـ ٦٥٠ مليون عامل صيني ٠

ان تحول المدينة من شكلها القديم الى الجديد هو في الحقيقة تحول ثوري ٠ كانت بكين قبل التحرير عبارة عن مدينة مستهلكة فقد كان فيها كثير من الاكل والشراب وأماكن اللهو الا أن البناء الصناعي كان مهملا ٠ ففي بداية عام ١٩٤٩ كان عدد العمال فيها لا يزيد عن ٧٠٠٠٠ الا أنه في شهر حزيران من عام ١٩٥٩ ازداد هذا العدد وأصبح ٩٠٠ر٠٠٠ ٠

ان بعض الصناعات في بكين الحديثة قد تطورت من صغيرة الى أن أصبحت وحدات كبيرة بعد أن كانت بحالة من الافلاس في الايام الغابرة ٠ فمناجم فحم منتوكو مثلا كانت سيئة التجهيز والانتاج وكان العمل يتوقف فيها خلال فصول الشتاء بسبب طوفان الحفر بالماء ٠ وبعد التحرير أدخلت التحسينات على التجهيزات والادارة وأضيفت اثنتا عشرة حفرة جديدة على المنجم وكان من نتيجة ذلك أن انتاج المنجم وصل الى ٤ر٦٠٠ر٠٠٠ طن في عام ١٩٥٨ أي أكثر من أربعة أضعاف ما كان عليه في عام ١٩٤٩ ٠ وكان توليد الطاقة الكهربائية ١٥٠ مليون كيلوواط في عام ١٩٤٩ فقفز هذا الرقم الى ١ر٠٥٠ مليون كيلو واط في عام ١٩٥٨ أي بزيادة سبعة أضعاف ٠

كانت بكين في الايام القديمة تنتج الحديد فقط وليس الفولاذ ، ومنذ التحرير أنشأت بمواردها الفنية الخاصة معامل الحديد والفولاذ ومصانع الفولاذ الخاص ومصانع شه‌تشنج‌شان للحديد والفولاذ ٠ في عام ١٩٥٩ أنتجت بكين حوالي ٣٠٠ر٠٠٠ طن من الفولاذ ،
أنتجت بكين حوالي ٣٠٠ر٠٠٠ طن من الفولاذ ،
و ٢٠٠ر٠٠٠ طن من المنتجات الفولاذية ٠ وفي حقل الصناعة الخفيفة كانت بكين في الزمن الماضي تستطيع « أن تحيك لا أن تغزل » ٠ أما اليوم فان مصانع حياكة القطن رقم واحد واثنين وثلاثة تضم ٢٥٠ر٠٠٠ مغزل وأكثر من ١٠ر٠٠٠ نول ٠ وكذلك فقد تم انشاء مصنع ضخم للصباغة والنقش ٠ وبالاضافة الى ذلك فان مشاريع مثل آلات قطع الحديد والمولدات الكهربائية والالكترونية والراديوات والغزولات الصناعية كانت غير معروفة في بكين في الايام القديمة ٠

كانت الزراعة في ضواحي بكين على حافة الانهيار



منظر ليلي لمحطة سكة حديد بكين الجديدة

قبل التحرير . فالفلاحون والعمال الزراعيون المساكين الذين كانوا يشكلون حوالي ٣٠ ٪ من أهل الريف كانوا يمتلكون ١٦ر٧ ٪ من الاراضي الزراعية . بعد الاصلاح الزراعي في عام ١٩٥٠ بدأ أولئك الفلاحون والعمال الزراعيون أن يصبحوا أسياد أنفسهم . وفيما بعد بدأ وجه ضواحي بكين يتغير وذلك عن طريق فرق العون المتبادلة . ان ازدياد حركة الانشاءات الكبيرة لصيانة المياه في عام ١٩٥٧ وتطورها الى تشكيل الكوميونات الشعبية في عام ١٩٥٨ حولت ٢٠٠٠ من المزارع المفردة التعاونية من النوع المتطور الى ٧٦ كوميون شعبي . وبفضل القوة العظيمة للكوميونات الشعبية خطت الزراعة والاحراج وتربية الحيوانات والمهن الاضافية وتربية الاسماك خطوات واسعة . ثم ان تحسين المطاعم الشعبية ودور الحضانة في الكوميونات حرر ٢٠٠ر٠٠٠ امرأة من أعمال البيت وقد بدأن بالقيام بدور فعال في الانتاج الاشتراكي وقد أدخل استعمال الجرارات الزراعية والمضخات وآلات الري على نطاق واسع . وان بناء حوالي تسعين خزان ماء كبير وصغير ومن ضمنها خزان منج تومبس الشهير قد ضمن مخزون الماء لارواء ما يزيد عن أربعة ملايين ميو من الاراضي الزراعية في الضواحي (الميو هو عبارة عن ٠٦ر- من الهكتار) . وبذلك اتسعت المساحة المروية بمعدل عشرة أضعاف بالمقارنة مع ٢٢٠ر٠٠٠ ميو وهو مقدار ما كانت عليه مساحة الارض المروية بعد التحرير مباشرة . لقد أمن كل هذا محصولا زائدا (سواء في الحبوب أو الخضروات) . وهكذا وحتى في وجه الكوارث الطبيعية الخطيرة في عام ١٩٥٩ ازداد الانتاج الزراعي زيادة كبيرة . فقد بلغ محصول الحبوب ٢١٨ مليون كاني وأعطت الخضار محصولا وافرا يقارب العشرين مرة عما كان عليه الرقم قبل التحرير . وفي حقل تربية المواشي والحيوانات فقد ازداد عدد الخنازير ثلاثة أضعاف ما كان عليه في الفترة الاولى التي تلت التحرير . وبلغ عدد بط بكين الشهير ٣٨٠ر٠٠٠ في شهر آب من عام ١٩٥٩ .

وفي عشية التحرير كان عدد طلاب الجامعات والكليات ١٤ر٠٠٠ طالب فقط و ٤٣ر٠٠٠ طالب في المدارس المتوسطة في بكين . وفي عام ١٩٥٩ ازداد عدد المنتسبين الى الجامعات والكليات والمدارس لثانوية والابتدائية الى ١ر٣٥٠ر٠٠٠ طالب . أي ما يشكل خمس عدد سكان المدينة . ففي عشر سنوات ازداد عدد طلاب الجامعات سبعة أضعاف وعدد طلاب المدارس المتوسطة خمسة أضعاف . ونفذ نظام التعليم الابتدائي الشامل . وان بكين هي اليوم نقطة الارتكاز لعدد كبير من مؤسسات التعليم العالي في الصين . فقد ازداد عدد الجامعات والكليات من ١٧ في عام ١٩٤٩ الى ٥٢ حيث يجري سنويا تدريب عشرات الالوف من الفنيين والاداريين الذين يعملون في بناء الصين . فهنا توجد جامعة بكين الشهيرة وجامعة بكين للمعلمين وجامعة تسنجهوا الشهيرة للصنائع والفنون . وجامعة الطب المؤسسة حديثا لتدريب خبراء طبيين وجامعة الصين الشعبية التي أنشئت بعد التحرير لتدريس العلوم الاجتماعية وجامعة العلوم والفنون للتدريب على الابحاث العلمية وغيرها .

وهنالك أيضا أكاديمية العلوم الصينية وهي أعلى مؤسسة للابحاث العلمية في الصين . وهذه أيضا مركزها بكين ولقد تمكنت هذه الاكاديمية حتى الآن من فتح مجالات جديدة في تربة العلوم القاحلة في الصين القديمة . ومنذ التحرير تم تأسيس أكثر من عشرين جامعة



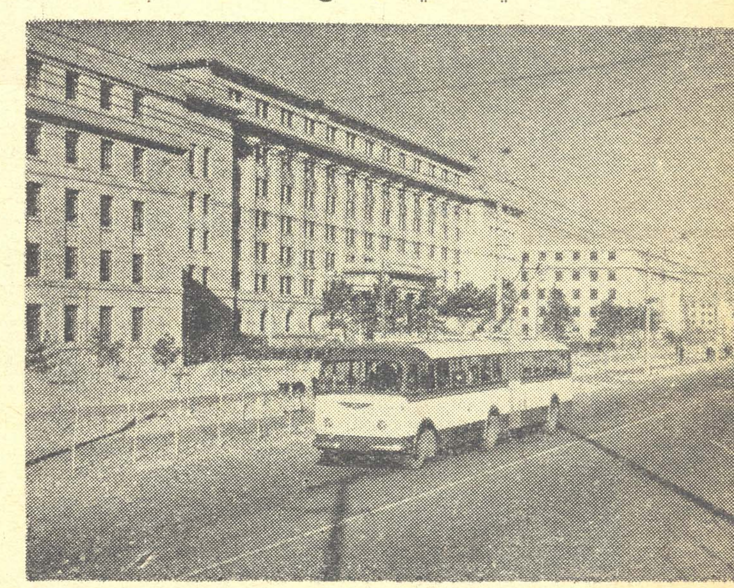
بناية جديدة في شارع شانغان في بكين

وكلية وما يزيد عن اثني عشر معهدا للابحاث العلمية في ضواحي بكين الشمالية الشرقية التي كانت يوما ما قاحلة منها ٠ ان هذه البنايات الفخمة التي تقف متحاذية تبين الانجازات الباهرة التي حققتها الصين الجديدة في تطوير العلم والثقافة ٠

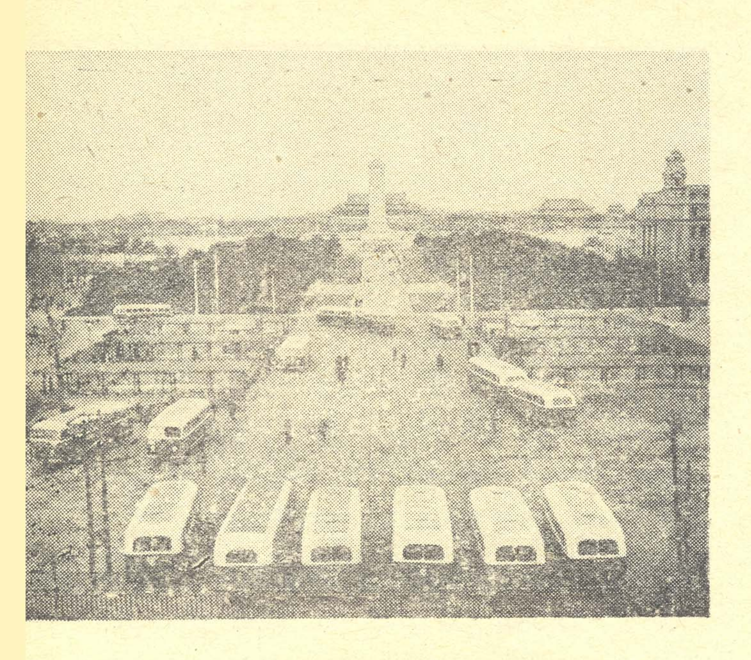
ان مكتبة بكين الوطنية هي أكبر مكتبة من نوعها في الصين فهي تحتوي على أكثر من ٥٫٦٠٠٫٠٠٠ مجلد منها أكثر من ٢٠٠٫٠٠٠ مجلد عبارة عن مجلدات نادرة أو مخطوطات في العلوم والفنون الصينية ٠ بالاضافة الى الكتب الثورية والعسكرية والتاريخية والعلوم الطبيعية والصناعة والمواصلات والزراعة والموارد الطبيعية والعلوم والتكنولوجيا والثقافية والفنية ومتاحف الاقليات الوطنية ٠

ان بكين هي مركز عدد كبير من المنظمات الفنية والادبية وكذلك الجرائد ودور النشر والطباعة في الصين ٠

وتعمل بكين على برنامج ضخم لاقامة الحدائق في الخلاء ٠ لم يكن في بكين سوى سبع حدائق عامة في الايام الماضية ٠ وفي خلال العشر سنوات التي تلت التحرير أنشئت حوالي ٥٤ حديقة عامة ٠ ان بركة التنين والصيوان البهيج كانتا في الماضي عبارة عن مستنقعين من الماء الآسن ينبت فيها القصب وقسم منها كان يستعمل كمقابر ، وقد تحولت هذه الى أماكن جميلة فيها الاشجار والبرك الاصطناعية ٠ وقد جرى اصلاح القصر الصيفي وقبر منج بكل دقة ٠ أما معبد تشيه تاي ومعبد تان تو فقد تحولا من شكل الركام الذي كانا عليه الى شكل جديد متألق ٠ ففي فصلي الربيع والخريف تتألق هاتان



احدى بنايات بكين الجديدة



احدى محطات الاتوبيس في بكين

البقعتان بالازهار والاشجار تقوم بينها الممرات الملونة والمقاصف الشعرية ٠ في عشر سنوات منذ التحرير بلغت مجموع المساحة التي أقيمت عليها الابنية الجديدة ٢٧ مليون متر مربع أي ١٫٣ المرة زيادة عن المساحة الاصلية للبناء في بكين القديمة ٠ وفي الاحتفالات التي أقيمت للذكرى العاشرة لتأسيس الصين الجديدة في عام ١٩٥٩ أعيد بناء ساحة (تين أن من) الواقعة في وسط المدينة وجرى توسيعها من ١١ الى ٤٠ هكتار فاصبحت تتسع في مناسبات المهرجانات لـ ٤٠٠٫٠٠٠ محتفل ٠ ويقف البناء الجديد لمتحف الثورة الصينية وتاريخها وقاعة الشعب الكبرى بكل عظمة وبهاء على الجانبين الشرقي والغربي لهذه الساحة ٠ وهنالك عمارات أخرى ضخمة قد تم بناؤها قبل حلول العيد الوطني لعام ١٩٥٩ وتضم هذه العمارات المتحف العسكري لثورة الشعب الصيني ومحطة سكة حديد بكين الجديدة وقصر القوميات وفندق القوميات ٠ ان جميع هذه العمارات الفخمة تبين مهارة فائقة في البناء ونالت الثناء والاعجاب من الزوار الاجانب ٠

« الغبار يتطاير الى علو ثلاثة أقدام في الايام التي لا رياح فيها والشوارع تصبح مستنقعات عندما تمطر » ان هذا القول هو أحسن وصف لما كانت عليه حالة الشوارع في بكين قبل التحرير ٠ في ذلك الزمن لم يكن هنالك سوى ٢٫١٩٠٫٠٠٠ ميل مربع من الاسفلت والشوارع المرصوفة بينما كانت الباقية كلها شوارع قذرة ٠ ومنذ التحرير ازدادت شوارع الاسفلت والطرق المعبدة الى ١٠٫٨١٠٫٠٠٠ متر مربع أي بزيادة خمسة

اضعاف ما كانت عليه قبل التحرير ٠ أما أسوار المدينة وهي عبارة عن بقايا عهد الاقطاع ، كانت تعرقل حركة السير ، فقد هدمت تدريجيا وسيحل محلها شوارع كبيرة تنبت الاشجار على جوانبها ٠

ان تمديدات أنابيب المياه الحديثة والتي تمت بعد التحرير فتزيد في طولها عن ثلاثة أضعاف مجموع طول الانابيب التي جرى تمديدها خلال أربعين سنة قبل التحرير ٠ وفي الوقت الحاضر فان الاكثرية الساحقة من سكان بكين لديها فيض من المياه الجارية ٠ وقد ازداد توزيع المياه عشرة أضعاف خلال العشر سنوات الماضية٠

كان طول تمديدات المجاري وقت التحرير ٢٨٠ كيلو مترا فقط كان القسم الاكبر منها مسدودا الامر الذي جعل عشرين كيلو متر منها فقط صالحا للاستعمال ومنذ التحرير نظفت الاقسام المسدودة من هذه المجاري وعملت تمديدات جديدة يبلغ طولها ٥٦١ كيلو مترا ٠

ان مؤسسة التدفئة والكهرباء في بكين ومصانع فحم الكوك والمواد الكيماوية قد بدأت تمد البيوت في بعض قطاعات المدينة بالحرارة والغاز ٠ وستصل هذه التمديدات الحديثة تدريجيا الى الاقسام الاخرى من المدينة ٠

عن قريب سيكون قد مر على تحرير بكين اثنتا عشرة سنة ٠ ان التقدم الذي تم خلال هذه الفترة القصيرة من الزمن قد فاق مثيله خلال ٥٣٠ سنة بعد أن أصبحت بكين عاصمة لاباطرة المنج ٠ لقد أصبحت مدينة حديثة جديدة ذات صناعة سريعة النمو وكذلك الامر في الزراعة والعلم والثقافة ٠ ولكونها عاصمة الجمهورية الشعبية فقد أصبحت المركز السياسي والاقتصادي والثقافي للصين ٠ ولا يزال أمامها مستقبل عظيم زاهر وجميل ٠

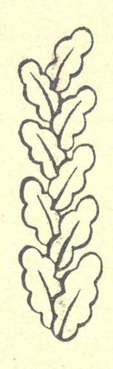
وجوه جديدة



ومن انت

شعر..

يرموك العش



* * *

أخي هل ظننت الليالي تطول
وهل قد حسبت النجوم تراك
وهل تستجيب السماء اليك
اذا أنت يوما أطلت الوجوم
ولاحاق بالكون شر عظيم
فلا الارض تروى بدمع النحيب
ومن أنت حتى تخيف الطيور
ومن أنت حتى تراك الزهور
أخي انما الكون شمس تدور
أخي انما الكون ركب يسير

اذا ما سهرت كثير الضجر ؟
اذا ما اليها أطلت النظر ؟
اذا أنت منها رجوت المطر ؟
فما كان للشمس أن تستتر
ولم يسقط النجم فوق القمر
ولا هي تصغي لصوت الزفر
فتمنع تغريدها في السحر
فتمسك عطرا لها ينتشر
وما أنت الا ظلال الشجر
اذا سرت أو ان رفضت السفر

يرموك العش ـ فلسطين الكويت



غروب في الفجر

مجموعة قصص للاديب وليد مدفعي

بقلم : عادل سلوم

تكاد القصة العربية القصيرة ، تكون لونا خاصا مميزا لا أثر للتقليد فيه ، ولا مكان لاية نزعة دخيلة عليه . لكن المؤسف حقا ، هو أن القصة القصيرة العربية لم تصنف بعد مع أي صنف أو مذهب متعارف عليه على مستوى فكري عالمي ٠٠ انها نسيج فريد ليس له ما يبرره الا حالة المجتمع العربي المعاصر الذي قفز فجأة من ظلام القرون الوسطى الى حضارة القرن العشرين ٠٠ وحالة الانسان المعاصر الذي أصبح حواسا مهترئة مشدودة الى الارض بعقلية العصر الذري وبرغبات البدائي الاول ٠٠

ولا نظن أن هذا تناقضا ٠٠

ان مشكلة الانسان المعاصر هي انه يعيش حياة العصر بعقلية معاصرة تصطدم دوما برغباته الكثيرة الانانية ، التي تشبه الى حد بعيد رغبات الانسان الاول ٠٠ ونتيجة الصراع بين العقل والرغبة تولد يأسا مريرا فقد الانسان بعده ثقته بالعالم ونتج عن ذلك الانهزام ٠٠ واللامبالاة ٠٠ وفكرة عقيمة تقول أن كل شيء تحت الشمس باطل وتافه بلا قيمة !!

والحقيقة أن معظم القصاصين المعاصرين – من غير العرب – يحاولون في قصصهم أن يعالجوا القضية من هذه الوجهة ٠٠ بل ان معظم أبطالهم من المهزومين المسحوقين في مجتمع صناعي أصبح الفرد فيه رقما ٠٠ يولد ويموت ٠٠ ويولد آخرون ثم يموتون ٠٠ ليؤدي كل واحد دورا كأية عجلة معدنية ٠٠ أو لولب نحاسي !!

والقصة العربية القصيرة نسيج آخر ٠٠ لقد نبعت من صميم المجتمع ٠٠ وهي لذلك مرآة له ولآماله ورغباته واذا كان مجتمعنا الجديد لم يصبح بعد مجتمعا صناعيا تتربع الآلة على عرش ألوهيته فان من البدهي ألا تكون مشاكل الفرد العربي شبيهة بمشاكل الفرد الاوروبي أو الامريكي ٠٠ من أجل هذا قلنا ان قصتنا القصيرة تكاد تكون لونا خاصا ومميزا ٠٠ وهي برأينا عمل أدبي أصيل ٠٠ وصعب بآن واحد ٠٠ فليس سهلا أن يخلق الكاتب في صفحات قليلة حياة كاملة ، تدور حوادثها ٠٠ وتتحرك أشخاصها ، وتكون لهم انفعالاتهم وآمالهم ويأسهم ٠٠ ثم نهايتهم ٠٠

ان الاديب انسان خالق ومبدع ٠٠ وقصته تسير مع المجتمع ، ولاجله ، على نفس الطريق ترقب حيوية أفراده الذين يعملون لخلق غد مشرق يرعى كل أحلامهم . وما من شك أبدا ، أن الفكر وحده هو الدعامة المتينة لكل شعب استيقظ من كبوة طويلة ، لانه يبني الانسان من

داخل ليتفاعل مع الحياة والحس ٠٠ وليخلق الانسان الاكمل والاروع ، والمجتمع الذي يمتاز بشجاعة أدبية خارقة تدفعه دوما للارتفاع الى مستوى القضية التي تقف ازاء الحياة ٠٠

ان امتنا العربية اليوم ، أمة ثائرة ، ولا نعني بالثورة هنا ، حمل السلاح فقط ٠٠ انها ، كل انقلاب جذري يشمل الحياة ، وقيمها ، وأشخاصها ، وأرضها ٠٠ والثائرون في أمتنا اليوم ، جيل كامل من الشباب تتجسد في أعماقه كل القيم الصحيحة للحياة ، هذه القيم التي تصطدم دوما بأكثر من عقبة صلبة ، فتنكفيء ٠٠ ثم تنهض وتمضي ٠٠ لكنها لا ترتد أبدا !!

انها تجربة عظيمة يمارسها شباب جيلنا ٠٠ وفي طليعتهم الادباء الشباب ٠٠ الزمرة الاكثر ثورة وعنفوانا، والذين تحلوا بجرأة جرحت الاحاسيس المتزمتة ٠٠ الادباء الشباب الذين رفضوا روتين حياة خلفها لنا الاستعمار البغيض ، وثاروا على واقع لا يبدع ولا يخلق شيئا ٠٠ ليصنعوا واقعا آخر ـ ولو في اذهان الناس ـ يمحي الرواسب العفنة التي تكمن في جهة ما من حياتنا !!

لقد كان كل شيء لدينا يتجه اتجاها خاطئا ٠٠ النظرة للحياة لا عمق فيها ٠٠ الايمان بالعادات والتقاليد تقليد أعمى أخذناه تلقائيا كأي مرض وراثي بلا مناقشة ولا منطق ٠٠ الايمان بالحب ، تسيره الغرائز الجامحة لا العواطف الطيبة الخالقة ٠٠ وعلى الادب وحده بكل أشكاله وصوره أن يفجر ثورة ما تساعد الناس على التحرر من أغلالهم النفسية وتكسر الاصفاد التي تكبل عقولهم المسجونة وتذيب الصدأ عن قلب شعب فتي يبحث عن الحياة التي تحقق له اصالته وانسانيته ٠٠

والمهمة قاسية عسيرة ٠٠ الاديب اليوم ملزم بخلق واقع جديد يقدمه للناس في اطار رائع يتلاءم ونفسية أمتنا الناهضة ٠٠ ان أديبنا اليوم لا يكتب لمجتمع آلي أصبح الفرد فيه صفرا ، ولا يكتب لمجتمع شرقي روحاني يعيش تحت الخيام ٠٠ أو في جو المعابد وضباب البخور ٠٠ انه يكتب لجيل تعبأت صدور أبنائه برغبات كثيرة لغد أفضل ٠٠ يكتب لجيل مهزوم يائس حينا ٠٠ ومعجب حينا ٠٠ وساخط قلق حينا آخر !!

تحت كثافة هذا الضوء ٠٠ وعلى هذا الهدي ٠٠ خرجت المجموعات الادبية ٠٠ ودواوين الشعر ، للادباء الشباب في الآونة الاخيرة ٠٠ وآخرها كان كتاب « غروب في الفجر » للاديب الشاب وليد مدفعي الذي ضمنه عشرة قصص قصيرة ، تعتبر بحق عملا فنيا ناجحا ، أثبتت ان كاتبها مثقف ثقافة علمية وحياتية ذاخرة ٠٠ وانه أديب متمرس ومتمكن في القصة القصيرة ٠٠ واذا جاز أن نطلق عليه أي لقب ، فلا نجد أفضل من لقب « الاديب الانساني » فهو يقودنا دوما برفق وحساسية ليضعنا وجها لوجه أمام لوحة انسانية رائعة ٠٠ حتى القضايا القومية التي تواجه أمتنا لا يمكن أن يكون أحد حلولها الا انسانيا بحتا ٠٠ ففي قصة « الساعة لا تدق في بور سعيد » يسير مع القارىء بخطى متزنة شيئا فشيئا الى المعركة الباسلة التي خاضها أبطال المدينة ضد الغزاة ٠٠ بعد أن يهيء الجو النفسي ٠٠ ودون أن يرعبنا كثيرا بصوت دوي القنابل وأزيز الرصاص ٠٠ فهو لا يؤمن بقيمة عرض المأساة حماسيا بقدر ما يهتم بايجاد مخرج ٠٠ ثم حل لهذه المأساة من أجل ذلك ٠٠ ابتعد عن الهياج الجماهيري ، عندما عرض لنا محنة شعبنا العربي أيام العدوان ثم انهى القصة على لسان أحد أبطالها المنكوبين بأنه ليس عارا أن نفقد بيوتنا ، لكن العار أن نهزم ٠٠ ان الارض ما زالت لنا ، ونحن ما زلنا أحرارا!!

هذه اللقطة البارعة لا تتحدث مباشرة عن الطامعين الذين جاءوا الى بلادنا ليقتلونا فقتلناهم ، لكنها تترك مجالا كبيرا للقاريء ليستنتج أن الارض أولا ثم الحرية ثانيا ، اذ لا قيمة لشعب لا يستطيع أن يمارس حريته ويرتفع الى مستواها البطولي وهو معلق في الفضاء بلا أرض ، ولا حدود ، ولا زمان ٠٠ نحن نحتاج الى الارض لانبات الحرية فيها ٠٠ لقد انتصرنا في بور سعيد ٠٠ أما البيوت التي هدمت فسوف نبني غيرها ما دامت الارض لنا ٠٠ والضحايا التي استشهدت سوف تلد أمهاتنا غيرها !!

اذن فالغد لنا !!

والشيء الوحيد الذي آخذه على القصة هو أن وليدا لم يقدم لنا صورة صحيحة لنفسية الشعب العربي قبل العدوان ٠٠ فهو يقول ان الهدوء كان يغمر المدينة والناس في أعمالهم العادية حتى بائع الحليب لا يفكر الا بحبه للخادمة التي تستقبله كل يوم على باب بيت سيدها ٠٠ والواقع أن هذا ليس صحيحا ، فمنذ أن أعلن الرئيس عبد الناصر تأميم القناة كان الشعور العربي في كل بلد عربي مشحونا ومعبأ ومتوثبا ينتظر في كل لحظة أن يقدم المستعمرون على عمل طائش ٠٠ وكان على الكاتب في بداية قصته أن يرصد هذه اللحظات الشعورية لشعب كان يعلم أن ثمة أمرا يبيت له !!

ومهما يكن ، فقد كان أروع ما في القصة هو أنها معالجة جديدة ٠٠ وبطريقة جديدة لمحنة شعبنا في بور سعيد ٠٠ هذه المعالجة الانسانية التي نراها واضحة في قصة أخرى من قصص الكتاب « قدمان حافيتان » عندما نرى صورة واضحة المعالم لطفل يحمل أثقال الحياة على كاهله الفتي ويتعذب بشكل مفجوع ٠٠ ولا رصيد له في

حياته سوى حفنة من أحلام صغيرة بأن يملك حذاء جديدا كبقية رفاقه في المدرسة علّه يريح لحم قدميه الحافيتين من لذع حرارة الارض ٠٠ وفي هذه القصة يكمن غضب مكبوت فجره الكاتب بشكل فني ومقبول ، اذ ليس من الانصاف أن تملك أنت شيئا لا أطاله أنا ٠٠ وكلانا انسان ٠٠ وليست حياة هذه التي يولد فيها أطفال يحلمون بأوسخ الاشياء ثم لا ينالون الا اجترار أحلامهم ٠ ان العالم البورجوازي اليوم أصبح جافا بخيلا ، لا شيء لديه الا بورجوازية نفسية لا رصيد لها في عالم الواقع ٠٠ والناس العاديون لا يكرهون ذلك بقدر ما ينقمون على من يسخر منهم ومن أحلامهم التي لم يبق لهم سواها ٠٠ ان المتعجرفين الذين صورهم الكاتب في شخصية مدير المدرسة وأساتذتها وطلابها المترفين يملأون معظم جوانب حياتنا ٠٠ وعلى غسان – بطل القصة – أن يرى ويسمع كل شيء ٠٠ ويحترق من داخل لينسج – لا ليطال – حلما ساذجا بأن يكون لديه حذاء كالآخرين ٠٠ ويكد ويعمل طوال السنة الدراسية حتى يتفوق في صفه وينال في نهاية السنة جائزة مدرسية ٠٠ وهي حذاء من الورق الملون الذي يصلح لان يكون كل شيء الا ليستر لحم قدميه ٠٠ وعندما يقف أما الجميع يمزقه ضحكهم الساخر وتنهش أعصابه قهقهات كلبية خليعة ٠٠ فيفر هاربا من بينهم يبكي نفسه ، والعالم المزيف الذي تآمر عليه حتى زيف له أحلامه الساذجة البريئة !!

أليست مهزلة أن تكون حياتنا بهذه البشاعة ٠٠ حتى أحلام الصغار يمزقها ترف البورجوازيين ؟!

أليست مهزلة أن يكون الحب وهو آخر مرفأ خلاص لانساننا الذي يرى أن الحياة عبث لا يطاق ، قد تشوه وتلوثت مفاهيمه وأصبح تجارة رخيصة تسيرها الغرائز وحب الانسان بالتنقل من امرأة الى أخرى باسم الحب؟!

ان قصة « غروب في الفجر » أول قصص الكتاب ٠٠ تقدم لنا صورة حية عن الانسان الذي ارتمى يلهث اعياء ٠٠ وقرفا من عالم ليس قادرا على ارواء أي ظاميء ٠٠ انسانة دفنت كل آمالها عند رجل أحبته وأعطت لحبها وفاء لا يعرف الحدود ٠٠ وفجأة اختفى هذا الذي علقت آمالها عليه ٠٠ وتمضي الايام ٠٠ عندما تلتقي به في زخم الضجيج الذي يملأ ساحات واجنحة معرض دمشق الدولي ٠٠ وتشعر أن حنينها اليه يوشك أن يحرقها ٠٠ وتهم أن تلقي بنفسها بين ذراعيه غير مبالية بكل ما يحيط بها ٠٠ عندما تراه فجأة يلتفت الى طفل صغير يناديه « بابا » !!

وهكذا تنتهي الآمال ٠٠ مرافيء الخلاص في شرقنا تجعلها الغرائز صخورا ناتئة قاتلة ٠٠ ويحولها الكبت والغدر وعدم الوعي الى بحيرات تتأسن فيها العواطف النبيلة ٠

وبعد ٠٠

لقد حاولت جهدي أن أقدم ثلاث قصص من كتاب (غروب في الفجر) قومية ، واجتماعية ، وعاطفية ٠٠ ولا أظن أن المجال يتسع لاكثر من ذلك ٠٠ خاصة وانني لم أقل شيئا أكثر من رأي شخصي أرجو أن يبيح لي في النهاية أن أعرض النقاط التالية :

١ – ان ما آخذه على الاديب هو استعماله بعض الكلمات والتعابير العامية في حين انه يستطيع أن يعبر عن موقف ما بلغة فصحى تعطي وقعا أجمل وتخلق في ذهن القارىء ايحاء أكثر شمولا ٠٠ والا ٠٠ ما معنى الادب ان لم يكن في احدى حالاته ثورة لمحو العامية ونشر الفصحى ، وما قيمته ان لم تكن اللغة المنيعة المتماسكة احدى دعائمه لتثبيت اصالة لغتنا ٠

٢ – لا أظن أنه من اللائق استعمال الكلمات المثيرة ، والوصف الجنسي الحساس ، والتلاعب بالالفاظ عندما وصف الكاتب جسد الراقصة في قصة « الخمر في الدم » لانني لا أحب أن أرى أديبا يكتب لجيلنا في فترة انبعاثه القومي بهذا الاسلوب الجنسي الذي لا يقبله الا بعض المراهقين !!

٣ – ان التكنيك القصصي عند وليد روتيني الى حد ما ٠٠ فالعقدة القصصية دوما مخبأة للنهاية ٠٠ وهذا ليس ضعفا ٠٠ لكن القاريء أحيانا يهيم بالمفاجأة منذ البداية ليتابع القصة بشغف ولذة ٠٠

هذه ملاحظات عابرة على كتاب « غروب في الفجر » للاديب وليد مدفعي وأنا واثق انني لم أف الكتاب حقه في هذه العجالة ، بيد أني أود أن أعترف صادقا بالجهد المسفوح على أوراق كتابه ، وهذا ليس غريبا من أديب قدم لنا كتابه الاول (مذكرات منحوس افندي) الذي ضمنه سخريته من عالمنا المتمدين الذي لا يؤمن الا بمفاهيم معكوسة ، ويتآمر على انسانيته باسم رقي فارغ يجعل المرء فيه عبدا لمجتمع منفلت انفلاتا قطيعيا بلا غاية ولا هدف ٠

ان وليد مدفعي واحد من الادباء الشباب الذين يحملون اليوم اعباء الرسالة الادبية ، بكل معاناتها ، ولا يطلبون من وراء ذلك شيئا الا كلمة شكر من قاريء يسير معهم على نفس الطريق في محاولة عظيمة لخلق مجتمع عظيم يجرؤ على تحطيم أوثان تقاليده بعد أن يحطم ألف قيد يكبله من داخل !!

عادل سلوم